مَجلَّةُ الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ – الْعَدَدُ ١٦٠

وَقَفَاتٌ

فِي رِيَاضِ الشَّمَائِلِ النَّبَوِيَّةِ

إِعْدَادُ

د. مُنَىٰ بنتِ أَحْمَدَ الْقَاسِمِ

أُسْتَاذِ الْحَدِيثِ الْمُشَارِكِ بِجَامِعَةِ الْأَمِيرَةِ نُورَةَ

المقدِّمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسانٍ إلى يوم الدين .

وبعد :

كم يهنأ الفكر ويبتهج القلب وتتسابق الكلمات شوقاً للحديث عن شخصية عظيمة تألّقت فيها أزكى الفضائل ، واتسقت فيها أبهى الشمائل ، وأشرف المحامد ، لتكون محمد بن عبد الله ﷺ خاتم النبيين ، و بشارة الله عز وجل في كتب الأنبياء السابقين : موسى وعيسى ، وخلاصة آبائه المرسلين: إبراهيم وإسماعيل –عليهم جميعاً أتمّ الصلاة وأزكى التسليم .

أتى الدنيا فابتهج الكون سروراً بقدومه ، وأضاءت الآفاق نوراً بميلاده ، وتبسم ثغر الزمان فرحاً ببعثته.

غَمَرَ الأرض بأنوارِ النُّبوّة مرسلٌ لم تبلغِ الشَّمسُ عُلُوّهْ

لم يَكَدْ يلمعُ حتى أصبحتْ تَرقُبُ الدنيا ومَن فيها دُنُوّهْ [1]

محمد ﷺ ... خير من وطئ الثرى ، وصلّى عليه الورى ، و عُرج به إلى السماء ، المصطفى على الناس برسالات الله تبارك وتعالى ، وآياته وآلائه ، وتعليمه وتكريمه ، المبعوث رحمة للثقلين وخيرًا لهم أجمعين ، مصداقاً لقوله الكريم : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[2].

محمد ﷺ ... نبيٌّ ترعاه عين الله عز و جل، ويصلّي عليه و ملائكته وصالحو عباده ، وتحوطه عنايته اللطيفة ، و تأديبه الخاص ، فزكّى ربنا جنانه ولسانه ، و آواه في يتمه ، وأغناه من فقره ، وشرح له صدره ، ووضع عنه وزره ، وأعلى قدره ورفع ذكره ،وأقسم بعمره ، ونصر دينه ، وقهر عدوه ، وطهّر أصله ، وحمى عرضه ، وربّاه التربية المثلى وغرس فيه الأدب الجمّ ؛ليكون القدوة

(١)للشاعر: إلياس فرحات مع تصرف يسير . (٢) سورة الأنبياء ، الآية :١٠٧.

الحسنة للمؤمنين،والنموذج المحتذى إلى يوم الدين ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[1]

ثم شهد له في كتابه الحكيم بسمو أدبه ، ودماثة خلقه بقوله :﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2] ، فكانت شمائله العطرة ومآثره المجيدة ترجمةً عمليةً لآداب القرآن وأخلاق الإسلام .

محمد ﷺ ... ذو النفس الطيبة المباركة الزكيّة ، الذي انهمرت عليه آيات التنزيل الحكيم ، واتصل به الملَك الأمين جبريل عليه السلام ، و خاطبه ربه تبارك وتعالى بما شرفه من مقام النبوة ؛ليؤدي مهام البشارة والنذارة للرسالة الخاتمة والدين القيم ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾[3]فكان ﷺ أهلاً لهذه المهمة الشريفة المجيدة ، والدعوة إلى الرسالة الخالدة !

لقد فاضت أنوار الإيمان على قلبه وجوارحه ، فكان سراجًا منيرًا للناس في ظلمة الكفر والفساد الحالكة بما أفاء الله عليه من الهداية والرشاد ، فاهتدى بها الناجون ، وذاقوا حلاوة التوحيد والإيمان بعد ضنك الضلال والعصيان ، و حرّر قلوبهم من الخضوع للأحجار والأوثان إلى تقديس الملك الرحمن ، وأعتق نفوسهم من جور العباد إلى فضل الكريم الجواد .

ونال – بعد رحلة الدعوة إلى الله المليئة بالتضحية والصبر والجهاد – شرفَ الكرامة الإلهية بالتفضيل على سائر الأنبياء وبني آدم ؛ و تفضيل أمته على كافة الأمم تشريعاً وكثرة أتباع .

---

(١) سورة الأحزاب ،الآية : ٢١.

(٢) سورة القلم ، الآية : ٤.

(٣) سورة الأحزاب ، الآيات: ٤٥. ٤٧.

قال تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ (١)

وعن أبي هُرَيْرَة، (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَن يَنشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ »(٢).

ألا ما أحرانا أن ننهل من معين شخصيته المعجزة بما فيها من الخصال الفريدة والخلال الحميدة ما يروي ظمأ حبِّنا له ﷺ ، وما يكون عونًا لنا على الاقتداء به واقتفاء هديه واتباع سنته .

❁❁❁

(١) سورة آل عمران ، الآية (١١٠).

(٢) رواه مسلم (٢٢٧٩) .

وستتشرف هذه الورقات بإطلالة مشرقة على طائفةٍ من الشمائل المحمدية ، مقسّمةٍ على النحو التالي :

خطة البحث: و تحتوي المقدِّمة ،وثلاثة مباحث كما يلي :

المبحث الأول : وقفاتٌ مع الشمائل الخَلْقِية ، وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : ما جاء في صورة خِلقته ﷺ.

المطلب الثاني : صفة شعره وشيبه وترجله ﷺ.

المطلب الثالث : هيئة جلسته واتكائه ومشيته ﷺ.

المطلب الرابع : كلامه ﷺ .

المطلب الخامس : ضحكه ومزاحه ﷺ.

المبحث الثاني : وقفاتٌ مع أدواته ومقتنياته وعاداته ، وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : صفة طعامه ﷺ .

المطلب الثاني : صفة أكله ﷺ .

المطلب الثالث : لباسه وفراشه ﷺ .

المطلب الرابع : سلاحه وخاتمه ﷺ.

المطلب الخامس : نومه وتعطّره ﷺ.

المبحث الثالث : وقفاتٌ مع شمائله الخُلُقية.وفيه عشرةمطالب :

المطلب الأول : رفقه ورحمته بأمته ﷺ.

المطلب الثاني : حلمه وعفوه ﷺ.

المطلب الثالث : تواضعه ولين جناحه ﷺ.

المطلب الرابع : كرمه وسخاؤه ﷺ.

المطلب الخامس : حياؤه وعفّته ﷺ.

المطلب السادس : أمانته ووفاؤه ﷺ.

المطلب السابع: صدقه ومروءته ﷺ. المطلب الثامن: عدله وإنصافه ﷺ.

المطلب التاسع: شجاعته وجهاده ﷺ.

المطلب العاشر: صبره وتضحيته ﷺ.

الخاتمة ، وفهرس الموضوعات والمصادر والمراجع .

وأما منهجي في البحث فهو كما يلي :

- إيراد الحديث الأقرب في دلالته على المعنى المراد.
- تخريج الحديث ، والحكم عليه في ضوء العناصر الآتية:

• إذا كان في الصحيحين أو أحدهما فأكتفي بالتخريج منهما .

• وإن كان في غيرهما من كتب السنة فأتوسع في تخريجه ودراسة أسانيده والحكم عليه .

• وإن كان في الحديث المخرج في الصحيحين زيادات مَتْنِيَّة مؤثرة فأذكرها،وأبين من أخرجها،وأجتهد في الحكم عليها.

- عند تخريج الحديث أكتفي بذكر رقمه الدال على موضعه من الكتاب طلباً للإيجاز ، و أما دراسة الرجال للحكم على الحديث فأبين ما ورد في توثيقه أو تضعيفه مما يدل على حاله و يحكم على روايته .

عند الحكم على الحديث أعتني بذكر قول من حكم عليه من المحدثين المتقدمين كابن حجر والذهبي والحاكم وغيرهم (رحمهم الله) وكذا المتأخرون كالشيخ الألباني (رحمه الله) .

- أُبيِّن غريب الحديث عند الحاجة إليه.
- أدرس الأحاديث الواردة بما يستخلص الفوائد منها ، و يجلّي معانيها القيّمة ، ويدفع الإشكال عما ظاهره التعارض منها .
- أعتني بما يتعلق بالحديث من المسائل المعاصرة .
- أعتني بصياغة البحث بأسلوب علمي ، أدبي رصين ؛ ليكون متعةً للقارئ،ومرجعاً للمتخصِّص ، وحجَّة على المخالف .

– أعتني بتخريج الآيات والأقوال والأشعار والرجال ونحوها .

أسأل الله أن يوفقني لما يحبّ ويرضى ، وأن يبارك فيما نقول ونعمل ، ويجعل ما قدّمناه خالصاً لوجهه الكريم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه و سلم .

❁❁❁

المبحث الأول :وقفاتٌ مع الشمائل الخَلْقِية :

المطلب الأول : ما جاء في صورة خِلْقَتِه ﷺ:

عن الْبَرَاءِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، يَقُولُ: « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مَرْبُوعًا، وَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْهُ »[١] .

و عن أنس (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قال : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ وَلَا بِالْقَصِيرِ، وَلَا بِالْأَبْيَضِ الْأَمْهَقِ وَلَيْسَ بِالْآدَمِ وَلَيْسَ بِالْجَعْدِ الْقَطَطِ وَلَا بِالسَّبْطِ، بَعَثَهُ اللَّهُ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ، فَتَوَفَّاهُ اللَّهُ وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ »[٢] .

و عن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ ضَخْمَ الْقَدَمَيْنِ حَسَنَ الْوَجْهِ لَمْ أَرَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ »[٣] .

و عن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ضَلِيعَ الْفَمِ، أَشْكَلَ الْعَيْنِ، مَنْهُوسَ الْعَقِبَيْنِ »، قَالَ: قُلْتُ لِسِمَاكٍ: مَا ضَلِيعُ الْفَمِ؟ قَالَ: عَظِيمُ الْفَمِ، قَالَ: قُلْتُ: مَا أَشْكَلُ الْعَيْنِ؟ قَالَ: طَوِيلُ شَقِّ الْعَيْنِ، قَالَ، قُلْتُ: مَا مَنْهُوسُ الْعَقِبِ؟ قَالَ: قَلِيلُ لَحْمِ الْعَقِبِ [٤] .

غريب الحديث:

مَرْبُوعًا: أي معتدلاً ، لا بالطويل ولا القصير[٥].

الأَبْيَض الْأَمْهَق : بياضٌ شديدٌ سمجٌ لا تخالطه صُفرة ولا حُمرة ،وليس بنيّر. [٦]

---

(١) متفقٌ عليه ، رواه البخاري (٥٨٤٨) و مسلم (٢٣٣٨).

(٢) متفقٌ عليه ، رواه البخاري (٣٥٤٨) و مسلم (٢٣٥٠).

(٣) رواه البخاري (٥٩١٢).

(٤) رواه مسلم (٢٣٤١).

(٥)معجم مقاييس اللغة (٢ / ٤٧٩)، المحكم والمحيط الأعظم (٢ / ١٤٠)،

(٦)تهذيب اللغة (٦ / ٧)،المحكم و المحيط الأعظم (٤ / ١٣١)، لسان العرب (١٠ / ٣٤٩).

الْآدَم : الأُدْمَةُ في الناس شربةٌ من سواد ، و الآدَمُ من الناس الأَسْمَرُ. (١)
الجَعْد القَطَط : الجَعْدُ من الشَّعَرِ : خِلاَفُ السَّبْطِ المسترسل ، ومن الجُعُودةِ ؛ القَطَطُ الذي لا يطُول من شِدَّة جُعُودته و التوائه مثل أشعار الحبش. (٢)

❁❁❁

النفوس المحبّة تتوق إلى ملاقاة محبوبها ، و النظر إليه ، والحديث معه لتنعم العين برؤيته ، ويأنس الفؤاد بقربه ومودته .

و يبلغ الشوق غايته،والحبُّ ذروته ،عندما يكون الحبيب قرة عيون المؤمنين وشفيع الموحدين ، نبينا الأمين ، محمد عليه من الله أزكى صلاة وأتم تسليم .

إن الروايات الثابتة عن أصحابه (رضي الله عنهم) لتحكي رؤىً رائعة لجمال صورته ، وحسن خلقته ممن عرفه عن كَثَب وخالطه عن قرب ، تنبئك دقّة تصويرها ، واستيعاب تفاصيلها عن غزارة الحبّ العظيم الراسخ في الفؤاد ، كأغلى ما يحب أحدنا من أبنائه ، ثمرات فؤاده ، يسعد بمرآه صباح مساء، ولفرط حرصه عليه و حبه له تراه يحفظ أدقّ تفاصيله و صفات خلقته !

وقد بالغ الصحابي (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) حيث قال: « لَمْ أَرَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ » و في رواية : « مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْهُ » ليفيد التعميم حتى يتناول الشمس و القمر.

وهذا مع إظهار جماله ﷺ إبراز كمال إيمانه لأن هذا فرع كمال المحبة . (٣)

قل هنيئاً لمقلــة المشتاقِ حين وافت قَمَر الآفاق
سرّها حسنُ محياهُ فظنّت أنه البدر تمَّ بعد محاق! (٤)

(١)تهذيب اللغة (١٤ / ١٥٠)، كتاب العين (٨ / ٨٨)، لسان العرب (١٢ / ٨).
(٢) المخصص لابن سيده (١ / ٨٠)، لسان العرب (٣ / ١٢١)، تاج العروس من جواهر القاموس (٧ / ٥٠٢)، المعجم الوسيط (٢ / ٧٤٥)، شرح السنة (١٣ / ٢١٨).
(٣) جمع الوسائل في شرح الشمائل (ص٢٢).
(٤) البيتان من قولي .

وبعد ... فهذا الخلق الفائق ، في الحسن والتناسق ، المبدع في التصوير، المخرج في أحسن تقويم ، كالقمر المنير في أديم السماء يتلألأ إشراقاً وبهاءً ، لم يُر قبله و لا بعده مثله !

أراده العليم الحكيم سبحانه بهذه الهيئة الحسنة ليكتمل به إعداد الشخصية النبوية المكلّفة بأعباء الرسالة العالمية ، فيكون حسن مظهره سبباً لائتلاف القلوب عليه ، وميلها إليه ؛ وشوق من لم يره بعد من أمته ، فإن النفوس فُطرت على حبِّ الجميل تنساقُ له طواعية !

وتالله ما جمال ظاهره بأحسن من كمال باطنه ، و حسن خُلُقه ، وصفاء قلبه ، وطهارة سيرته ، و طيب حياته كلها ﷺ.

❁❁❁

المطلب الثاني : صفةُ شعره وشيبه وترجُّله ﷺ :

عن الْبَرَاءِ، يَقُولُ: « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا مَرْبُوعًا، بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنكِبَيْنِ، عَظِيمَ الجُمَّةِ إِلَى شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ ».(١)

و عن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) سُئِلَ عَنْ شَيْبِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: « كَانَ إِذَا دَهَنَ رَأْسَهُ، لَمْ يُرَ مِنْهُ شَيْءٌ، وَإِذَا لَمْ يَدْهُنْ رُئِيَ مِنْهُ ».(٢)

و عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) يَصِفُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « قُبِضَ وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ، قَالَ رَبِيعَةُ: فَرَأَيْتُ شَعْرًا مِنْ شَعْرِهِ فَإِذَا هُوَ أَحْمَرُ فَسَأَلْتُ، فَقِيلَ: احْمَرَّ مِنَ الطِّيبِ ».(٣)

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) : يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ شِبْتَ، قَالَ: « شَيَّبَتْنِي هُودٌ، وَالْوَاقِعَةُ، وَالْمُرْسَلَاتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ».(٤)

---

(١) تقدّم تخريجه .

(٢) رواه مسلم (٢٣٤٥).

(٣) متفقٌ عليه ، رواه البخاري (٣٥٤٧) و مسلم (٢٣٥٠).

(٤) رواه الترمذي (٣٢٩٧) قال: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ هِشَامٍ، عَنْ شَيْبَانَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاق، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عنه مرفوعاً .

و رواه : الحاكم في مستدركه (٣٤٣/٢) و المقدسي في المختارة (٤٣٥٦) كلاهما من طريق : شَيْبَانَ التميمي به ،

و تابعه أبو الأحوص ، رواه أبو يعلى (١٠٧) قال: حَدَّثَنَا خَلَفُ بْنُ هِشَامٍ، حَدَّثَنَا أَبُو الأَحْوَصِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ مرفوعاً بمثله ، و لم يذكر : «المرسَلات».

قال الحاكم : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ ، و وافقه الذهبي .

قال ابن أبي حاتم :- في إسناد الترمذي من طريق شيبان ؛ - وَهَذا أَشْبَهُهُما بِالصَّوابِ ، واللَّهُ أَعلَمُ.

و عن ابنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ « كَانَ يَسْدِلُ شَعْرَهُ وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَفْرُقُونَ رُءُوسَهُمْ، فَكَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَسْدِلُونَ رُءُوسَهُمْ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِ بِشَيْءٍ، ثُمَّ فَرَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأْسَهُ ».[1]

❁❁❁

غريب الحديث :

الْجُمَّةِ : من جَمَّ الشيءُ واسْتَجَمَّ.أي:كَثُرَ ، والجُمَّةُ بالضم مُجْتَمَعُ شعر الرأس وهي أكثر من الوَفْرَةِ .

والوفرة : ما وصل إلى شحمة الأذن. [2]

يَسْدِلُ : السَّدْلُ : إِرْسالُ الشَّعْرِ غَيْرَ مَعْقُوفٍ ولا مُعَقَّدٍ ، وقالَ الْفَرَّاءُ : سَدَلْتُ الشَّعْرَ ، وسَدَنْتُهُ : أَرْخَيْتُهُ ، وقال الليث : شَعرٌ مُنسَدِل : كثيرٌ طويلٌ قد وقع على الظَّهر. [3]

لم تحظَ شخصيةٌ تاريخيةٌ عظيمةٌ بتدوين تفاصيل مظهرها بدقَّة ، وتأريخها بعناية ، وروايتها بأسانيد متَّصلة من الرجال الثقات الأثبات ، كما حظيت به شخصية الحبيب محمد ﷺ .

= وقال الألباني: و إن كان الحديث قد أُعلَّ بالاختلاف في إسناده ، فقد اتفق شيبان و أبو الأحوص على وصله من هذا الوجه و هما ثقتان ، فاتفاقهما حجّة .

علل الحديث لابن أبي حاتم (٢ / ١٣٤) ، السلسلة الصحيحة (٣ / ٢٩).

(١) متفقٌ عليه ، رواه البخاري (٣٥٥٨) – و اللفظ له – و مسلم (٢٣٣٧).

(٢) كتاب العين (٦ / ٢٧)، لسان العرب (١٢ / ١٠٤)، النهاية في غريب الأثر (١ / ٨١٤).

(٣) تهذيب اللغة (١٢ / ٢٥٢)، تاج العروس من جواهر القاموس (٢٩ / ١٩٤)،

وها هي ذي مدونات السِّير ومصنفات السنن تتباهى بجملة من أوصافه الجسدية المتكاملة المعبّرة تنقشها على لوحة الزمان ، وتبعثها لخواطر قلب من عمره الإيمان ونأى به الزمان ، ليسعد برؤية وصفه الجنان إن حُرِمت منه العينان !

لقد بلغ مقدار طول شعر نبينا محمد ﷺ إلى شحمة أذنيه مع غزارته و عظمته ، وهذه إحدى حالاته ﷺ.[1]

قال ابن بطال(رحمه الله):

كانت للنبي ﷺ جُمَّةٌ تبلغُ قريبًا من منكبيه، وقيل: تبلغ شحمة أذنيه، وقيل: يضرب شعره منكبيه، وليس ذلك بإخبار عن وقتٍ واحد فتتضادّ الآثار، وإنما ذلك إخبار عن أوقات مختلفة، يمكن فيها زيادة الشعر بغفلته عليه السلام عن قصِّه، فكان إذا غفل عنه بلغ منكبيه، وإذا تعاهده وقصَّه بلغ شحمة أذنيه أو قريبًا من منكبيه .[2]

وأما شيبه ﷺ فالمعتمدُ أنهنّ دون العشرين كما هو ثابتٌ في الصحيح ، و لم يخضبهن لعدم حاجته إليه عادةً لقلَّته ، وبه قال الإمام مالك وابن عبد البر، والقرطبي و غيرهم ، وأنه كان إذا تطيَّب بطيبٍ يكون فيه دهنٌ فيه صفرة خفي شيبه ؛ وهذه هي الصُّفرة التي رئيت منه .[3] ،وسؤال أبي بكرٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) لرسول الله ﷺ عن شيبه لفرطِ محبته والشفقة عليه !

أي ؛ ظهرت عليك آثار الضعف قبل أوان الكِبَرِ ، وليس المراد منه كثرة الشَّعر الأبيض عليه .[4] ، وجوابه البليغ ﷺ بإسناد السبب إلى ما في السور الكريمة من المواعظ و الزواجر البليغة . مع العلم بأن المؤثِّر هو الله تبارك وتعالى ، من حسن

---

(١) جمع الوسائل في شرح الشمائل (ص٩٢)، شرح سنن أبي داود للعباد (٢٣ / ٣٢٥).

(٢) شرح ابن بطال (١٧ / ١٨٦).

(٣) المفهم (١٩ / ٥٧)، شرح النووي (٨ / ٥٦)، إتحاف القاري بدرر البخاري (٩ / ١٤٥)، الفجر الساطع (٨ / ١٤٣)،

(٤) تحفة الأحوذي (٨ / ١٥٨).

الأدب مع الرَّب سبحانه ؛ فالخير كلُّه بيديه والشرُّ ليس إليه، ولربط المقادير بالأسباب الحقيقية[١]

وذكر هوداً وأخواتها لاشتمالها على بيان أحوال السعداء والأشقياء ، وأحوال يوم القيامة وفظائعها ، والأمر بالاستقامة له ولأمته مما يوجب استيلاء سلطان الخوف لا سيما على أمته لعظيم رأفته بهم ورحمته ، وتتابع الغمِّ فيما يصيبهم ، واشتغال قلبه وبدنه وإعمال خاطره فيما فُعِل بالأمم الماضية ، وذلك كله يستلزم ضعف الحرارة الطبيعية ، وبضعفها يُسرع الشيبُ ويظهر قبل أوانه[٢].

و لما كان عند النبي ﷺ من انشراح الصدر و نور اليقين ما يسليه ويثبته ؛ لم يستول ذلك إلا على قدرٍ يسير من شعره الشريف ، ليكون فيه مظهر الجلال والجمال معاً .

ووجه تقديم سورة هود هو : أمره بالاستقامة ، قال تعالى :﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ [٣]

وَقَالَ ابْن عَبَّاس (رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا)فِيها: مَا نَزَلَتْ عَلَى رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَمِيع الْقُرْآن آيَة أَشَدّ وَلَاأَشَقُّ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْآيَة . [٤]

والاستقامة : هي سلوكُ الصِّراط المستقيم ، وهو الدِّينُ القيِّم من غير تعريج عنه يَمنةً ولا يَسرةً ، ويشمل ذلك فعلَ الطَّاعات كلّها ، الظاهرة والباطنة ، وتركَ المنهيات كُلِّها كذلك ، فصارت هذه الوصيةُ جامعةً لخصال الدِّين كُلِّها [٥].

---

(١) جمع الوسائل في شرح الشمائل (ص١١٤)، المواهب المحمدية (١/١٥٠) .

(٢)فتح الباري لابن رجب (٦ / ٣١٧). فيض القدير شرح الجامع الصغير (٤ / ٢٢١)، التيسير بشرح الجامع الصغير (٢ / ١٥٦).

(٣) سورة هود ، الآية : ١١٢.

(٤) تفسير البغوي – إحياء التراث – (٢ / ٤٦٨)، التحرير والتنوير (١٢ / ١٧٦)،شرح النووي على مسلم (٢ / ٩).

(٥) جامع العلوم والحكم (٦/٢٣).

وأما تسريحه وترجيله ؛فقد كان ﷺ يرسل شعر ناصيته حول الرأس ويرخيه على جبينه من غير أن يقسمه إلى قسمين موافقةً لأهل الكتاب حين كان عبدة الأوثان كثرة ،وإنما آثر محبة ما فعله أهل الكتاب على فعل المشركين لتمسُّك أولئك ببقايا شرائع الرسل ،وهؤلاء وثنيون لا مستند لهم إلا ما وجدوا عليه آباءهم وقد حرص النبي ﷺ على تألُّف أهل الكتاب ليجعلهم عوناً على قتال من أبى واستكبر من عبَّاد الوثن ، كما تألَّفهم في قبلتهم [1].

فلما تألَّفهم ولم يدخلوا في الدين وغلبت عليهم الشِّقوة،خالفهم وفرق رأسه ، وأمر بمخالفتهم في أمور كثيرة ، كقوله : « إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَا يَصْبُغُونَ فَخَالِفُوهُمْ ».[2]

قال ابن بطال (رحمه الله): فرق شعر الرأس سنةٌ ، قال مالك: رأيت عامر بن عبد الله بن الزبير وربيعة بن أبى عبد الرحمن وهشام بن عروة يفرقون شعورهم، وكانت لهشام جمة إلى كتفيه[3].

و كان النبي ﷺ يدهن رأسه و يطيّبه ، و ما رواه عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُغَفَّلٍ، قَالَ: « نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ التَّرَجُّلِ إِلَّا غِبًّا »[4] التَّرجيل : تَسريحُ الشَّعَر وتَنْظيفُه

(١) ينظر : المواهب المحمدية (١/١٥٠) .

(٢) متفقٌ عليه ، رواه البخاري (٣٤٦٢) و مسلم (٢١٠٦) من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه).

(٣) شرح ابن بطال (١٧ / ١٩١)،

(٤) رواه الترمذي (١٧٥٦) قال: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ، أَخْبَرَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ، مرفوعاً . ورواه : أبو داود (٤١٥٩) و النسائي في الصغرى (٥٠٥٥) و أحمد (١٦٣٥١) و ابن حبان (١٢ / ٢٩٥) و الطبراني في الأوسط (٢٤٣٦) ، جميعهم من طريق : الْحَسَنِ البصريّ ، وهو: ثقةٌ يرسل كثيراً و يدلّس .تهذيب الكمال (١٢١٦).
و قال الترمذي : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ . و قال الحافظ السيوطي و العراقي و الألباني : صحيح الألباني .الجامع الصغير (٩٣٧٧)، صحيح الجامع (٦٨٧٠).

وتَحْسينُه كأنه كَرِه كثرةَ التَّرفُّه والتَّنعُّم ، فالمراد : النهيُ عن دوام تسريحه وتدهينه ، ليفعل يوماً ويترك يوماً ، لأن المواظبة تُشعر بشدَّة الإمعان في الزينة والترفّه ، وذلك شأن النساء . (١)

❋❋❋

المطلب الثالث : هيئةُ جلسته واتِّكائِهِ ومشيتِهِ ﷺ :

عنِ عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)، قَالَ: « رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِفِنَاءِ الْكَعْبَةِ مُحْتَبِياً بِيَدِهِ هَكَذَا ». (٢)

وعن قَيْلَةَ بِنْتِ مَخْرَمَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُا) " أَنَّهَا رَأَتِ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ قَاعِدٌ الْقُرْفُصَاءَ، فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْمُخْتَشِعَ، وَقَالَ مُوسَى: الْمُتَخَشِّعَ فِي الْجِلْسَةِ أُرْعِدْتُ مِنَ الْفَرَقِ ». (٣)

---

(١) إكمال المعلم (٧ / ١٨)، النهاية في غريب الأثر (٢ / ٤٩٤)،الفائق في غريب الحديث (٢ / ٤٣) قال : وترجيله : تسريحه وتغذيته بالأدهان وتقويته.

(٢) رواه البخاري (٦٢٧٢).

(٣) رواه ابو داود (٤٨٤٧) قال : حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، وَمُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيل، قَالَا: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَّانَ الْعَنْبَرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَتْنِي جَدَّتَايَ قَالَ مُوسَى: بِنْتِ حَرْمَلَةَ وَكَانَتَا رَبِيبَتَيْ قَيْلَةَ بِنْتِ مَخْرَمَةَ وَكَانَتْ جَدَّةَ أَبِيهِمَا أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُمَا، الحديث .

و رواه : البخاري في الأدب المفرد (١١٧٨) و البيهقي (٥٤٥٧) والترمذي في الشمائل (١٢٨) و البغوي في الأنوار في شمائل النبي المختار (٤٧٨) و في شرح السنة (٣٣٥٦) من طريق : عَبْد اللَّهِ بْن حَسَّانَ به ، و فيه : صَفِيَّةُ، وَدُحَيْبَةُ ابنتا عليبة، قال ابن حجر :

صفية بنت عليبة مقبولة تقريب التهذيب (٢ / ٧٤٩)، و دُحَيبة بمهملة وموحدة مصغَّرة: العنبرية مقبولة تقريب التهذيب (٢ / ٧٤٦) ويعضد هذا الحديث ما ثبت في البخاري ، فيكون حسناً لغيره ، و قد حكم ابن حجر على إسنادٍ آخر رواياه بأنه لا بأس فيه كما سيأتي .

و قول الألباني : ضعيف . في مختصر الشمائل (١٠١) بسبب جهالتهما .

وعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (رضي الله عنه) . في سياقٍ طويل من حديث إيلاء النبي ﷺ من نسائه . قال : « فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا هُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى رِمَالِ حَصِيرٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِرَاشٌ قَدْ أَثَّرَ الرِّمَالُ بِجَنْبِهِ مُتَّكِئًا عَلَى وِسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ ».(١)

و عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،(رضي الله عنه) قالَ : مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ :« كَأَنَّمَا الشَّمْسُ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ، وَمَا رَأَيْتُ أَسْرَعَ فِي مِشْيَتِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَأَنَّ الأَرْضَ تُطْوَى لَهُ، إِنَّا لَنُجْهِدُ أَنْفُسَنَا، وَإِنَّهُ لَغَيْرُ مُكْتَرِثٍ ».(٢)

❋❋❋

غريب الحديث :

الْقُرْفُصَاءَ: بضمّ القاف و المدّ ؛ هي جِلْسَةُ المُحْتَبِي ؛ أَن يجلس على أَلْيَتَيه ويُلْصِقَ فخذيه ببطنه ويَحْتَبي بيديه يضعهُما على ساقَيه ، قال ابن الأعرابي هي: أن يَقْعُدَ ويَجْمَعَ رُكْبَتيه ويَقْبِضَ يَدَهُ إِلى صَدْرِه .(٣)

---

(١) رواه البخاري (٥١٩١).

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه (٦٣٠٩) قال: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَلْمٍ، حَدَّثَنَا حَرْمَلَةُ ابْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، أَنَّ أَبَا يُونُسَ مَوْلَى أَبِي هُرَيْرَةَ حَدَّثَهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ به ، ورواه : ابن المبارك في مسنده (٣١) بإسناده عن عَمْرو بْن الْحَارِثِ الأنصاري عَنْ أَبِي يُونُسَ به ، و من طريقه البيهقي في دلائل النبوة (١/٢٠٨) ، و ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/١٨٣).ورواه الترمذي (٣٦٤٨) و أحمد (٨٧٢٠) من طريق ابْن لَهِيعَةَ، عَنْ أَبِي يُونُسَ، به .
و رجاله ثقاتٌ ، و قد ضعّفه الألباني في مشكاة المصابيح (٣ / ٢٥٩) .
و الحديث ضعيفٌ بإسناد ابن لهيعة ، أما إسناد ابن حبان فحسنٌ .

(٣)تهذيب اللغة . (٩ / ٢٨٨)، لسان العرب (٧ / ٧١)،الفائق في غريب الحديث (٣ / ١٠١)، غريب الحديث لأبي عبيد ابن سلام (١ / ٢١٠) ، النهاية في غريب الأثر (٤ / ٧١).

تحدُّثنا آفاق هذه الصُّور المعبِّرة عن خلقٍ عظيمٍ ظهرت ملامحه على هيئة النبي ﷺ وسلوكه . ألا وهو التَّواضع وخفض الجناح الذي أحبَّه محمد ﷺ وارتضاه و رغّب الأمة إليه !

و تكبر قيمة هذا الخلق و يعظم أثره عندما يصدر من رجلٍ عظيمٍ له من الشرف والسؤدد ما لا يبلغه أحدٌ من أمته ، إنه شرف لا يحاز بمناصب الدنيا و جاهها مهما عظم ، كلا و لا بقناطير الذهب والفضة و إن بلغت قلال أُحُدٍ...هو فوق ذلك ولا ريب !

إنه منتهى الشرف و الكرامة بالاصطفاء الرباني و النبوة الخاتمة التي اختار صاحبها أن يكون عبداً رسولا على أن يكون ملكاً رسولا !

عبداً ..يجلس كما يجلس العبيد جلسة الخشوع ويضطجع اضطجاع التواضع ، فتكسوه هيبة وجلالاً ، وتربو به قدراً وكمالاً ، تؤثِّر الرمال على جسده الشريف فلا يتّقيها إلا بحصيرٍ رثٍّ لا فراش عليه و لا بساط ! متّكئاً على وسادةٍ زهيدةٍ من جلدٍ محشوةٍ ليفاً ! لايأنف مجالسة الفقراء بل هم أحظى الناس بقربه، يقعد بينهم حيث انتهى به المجلس!

يا لخشونة هذا المتاع القليل و يا للين هذا الرسول الكريم الذي يتلقى تلك المرأة المسكينة المرتجفة فزعاً من مهابته و هو قاعدٌ القُرفصاء برحمةٍ وتواضع.

كما قالت : (أُرْعِدْتُ) عَلَى بِنَاءِ الْمَجْهُولِ أَيْ حَصَلَتْ لِي رِعْدَةٌ (مِنَ الْفَرَقِ) بِفَتْحِ الْفَاءِ وَالرَّاءِ أَيِ الْخَوْفِ الْإِلَهِيِّ الْمُسْتَفَادِ مِنَ التَّوَاضُعِ النَّبَوِيِّ ، يَعْنِي كَانَ مَعَ تَخَشُّعِهِ عَظِيمًا ، هَابَتْنِي عَظَمَتُهُ وَحَصَلَ لِيَ الْخَوْفُ ، وَيُؤَيِّدُهُ حَدِيثُ عَلِيٍّ : " مَنْ رَآهُ بَدِيهَةً هَابَهُ ، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ " [1].

(١) رواه الترمذي في جامعه (٣٦٣٨) قال : حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي حَلِيمَةَ مِنْ قَصْرِ الْأَحْنَفِ، وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدَةَ الضَّبِّيُّ، وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ، الْمَعْنَى وَاحِدٌ، قَالُوا: حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى غُفْرَةَ، حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عنه .

و قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَيْسَ إِسْنَادُهُ بِمُتَّصِلٍ.

قَالَ مِيرَك أحدُ العلماء:وَالظَّاهِرُ مِنْ سِيَاقِ قِصَّةِ قَيْلَةَ أَنَّهُ أَوَّلُ مُلَاقَاتِهَا بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَلِذَا هَابَتْهُ وَوَقَعَ فِي قِصَّتِهَا بَعْدَ قَوْلِهَا:أُرْعِدْتُ مِنَ الْفَرَقِ ، وَالتَّخَشُّعُ إِمَّا بِهَذِهِ الْجِلْسَةِ ، وَإِمَّا بِأُمُورٍ أُخَرَ شَاهَدْتُهَا فِي الْحَضْرَةِ [1]، يطمئنُها الحبيب ﷺ فيقول لها؛كما في رواية :« يَا مِسْكِينَةُ، عَلَيْكِ السَّكِينَةُ » . قالت: فَلَمَّا قَالَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنِّي مَا كَانَ دَخَلَ فِي قَلْبِي مِنَ الرُّعْبِ! "[2] .

فهو المجلُّ المحبوب المكرَّم وهذا كمال المحبة أن تقرن بالتعظيم والهيبة.!

لقد رُزِق من الحشمة و المكانة في القوب حبّاً ومهابةً وعظمةً قبل النبوة ، فلمَّا تغشَّاه الوحيُ و عانق الرسالةَ العظمى ارتقى مبلغاً ليس يدركهُ سواه !

كان يبهتُ ويفرقُ لرؤيته من يراه هيبةً له و إجلالاً !

وبلغ من هيبته أن المشركين و هم يكذّبونه و يؤذون أصحابه ، و يقصدون أذاه في نفسه خُفيةً ما إن يواجهوه حتى يُعْظِموا أمره ، و يقضوا حاجته .! [3]

قال النووي (رحمه الله): عُلِمَ أن جلوسَه ﷺ في المجامع إما متربِّعاً أو محتبياً القُرفصاء ، وهو كان أكثر جلوسه ، أو مقعياً،وشبهها من جلسات الوقار والتواضع[4] .

لا على هيئةِ جلوسِ الجبَّارين المتكبّرين من التَّمدد و الاتّكاء و رفع الرأس وشموخ الأنف و عدم الالتفات للمساكين ، والاحتجاب عن المحتاجين .! [5]

---

(١) جمع الوسائل في شرح الشمائل (ص٢٢٠).

(٢) رواها الطبراني في الكبير (٢٠٥٦٣) من طرقٍ عن عَبْد اللَّهِ بْن حَسَّانٍ الْعَنْبَرِيّ أَبِي الْجُنَيْدِ، أَخي بَنِي كَعْبٍ الْعَنْبَرِيُّ، قال : حَدَّثَتْنِي جَدَّتَايَ: صَفِيَّةُ، وَدُحَيْبَةُ ابْنَتَا عُلَيْبَةَ، وَكَانَتَا رَبِيبَتَيْ قَيْلَةَ، أَنَّ قَيْلَةَ بِنْتَ مَخْرَمَةَ حدّثتهما به . وفيه : رَبِيبَتَيْ قَيْلَةَ قال ابن حجر : مقبولتان . و قال في الفتح : بسند لا بأس .(١١ / ٦٥) ، وقال الهيثمي :رجاله ثقاتٌ . مجمع الزوائد (٥ / ٤٢٤)

(٣) الشفاء بأحوال المصطفى (١/٦٥).

(٤)شرح النووي (١٤ / ٧٨) ، إتحاف القاري بدرر البخاري (٩ / ١٦٣) .

(٥) جمع الوسائل في شرح الشمائل (الصفحة السابقة).

ويمشي ﷺ متواضعاً لمولاه عز وجل ، فيهتزّ الثرى طرباً لممشاه، وتتقارب المسافات شوقاً لخطاه ، كأنما الأرض تطوى تحت قدميه ، ويسبق أصحابه في سيره الهيّن وخطاه الواثقة من غير أن يناله تعبٌ أو نصبٌ ، في حين ظلّ الجهد والإعياء يعلوهم ، لقوّته الظاهرة و بنيته السليمة و ما حباه الله تعالى من العافية.

قال القاري (رحمه الله):

سُرْعَةُ مَشْيِهِ كَانَتْ عَلَى غَايَةٍ مِنَ الْهَوْنِ ، وَالتَّأَنِّي بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَكُنْ بِسُرْعَةٍ فَاحِشَةٍ تُذْهِبُ بَهَاءَهُ ووَقَارَهُ ، فَلَا يُنَافِي قَوْلَهُ تَعَالَى :﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ (١) وَقَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ ﴾ (٢) وَالْحَاصِلُ أَنَّ سُرْعَتَهُ فِي مِشْيَتِهِ ، كَانَتْ مِنْ كَمَالِ الْقُوَّةِ لَا مِنْ حَيْثُ الْجَهْدِ وَالْمَشَقَّةِ وَالْعَجَلَةِ ، وَلَعَلَّ الْوَجْهَ فِي الْمُنَاسَبَةِ بَيْنَ اقْتِرَانِ الْجُمْلَتَيْنِ ، أَنَّ حُسْنَ وَجْهِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مُسْتَمِرًّا لَمْ يَتَغَيَّرْ فِي حَالٍ دُونَ حَالٍ ، بِخِلَافِ غَيْرِهِ . (٣)

ولا تخلو حركاته من أمرٍ بات سمةً لازمةً له ، ألا وهو ذكر الله تبارك وتعالى ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ »(٤)

فكان يذكر ربه على كل أحواله ، ويختم مجالسه بتسبيحه واستغفاره ، وعند نومه بدعائه ومناجاته ، ومسيره بتكبيره وتهليله ، فيمتلئ القلب خشوعاً و الوجه نوراً و البدن قوّةً .

---

(١) سورة الفرقان ، الآية :٦٣.

(٢) سورة لقمان ، الآية : ١٩.

(٣) جمع الوسائل في شرح الشمائل (ص٢١٨).

(٤) رواه مسلم (٣٧٤) و البخاري تعليقاً (١ / ٦٤).

المطلب الرابع : كلامه ﷺ :

عن عائشةَ (رضي الله عنها) قالت : « إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ »[1]

وعنها قالت : « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لَأَحْصَاهُ »[2].

عن أَنَسٍ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ :« أَنَّهُ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًاحَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ »[3]

غريب الحديث :

يَسْرُدُ : سَرَدَ يسْرُدُ سَرْدَاً ؛ إذا أسرع الكلام وتابع بعضه في إثر بعض يَسْتَعْجل فيه .[4]

❁❁❁

تطالعنا كتبُ السنة الشريفة بما رُوِيَ عن النبي ﷺ من الأحاديث في الأحكام والأخبار بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ ، سهل الألفاظ ، واضح المعاني ، جزل العبارة ، لا تملُّه المسامع و لا تأنفه الخواطر ، في سلاسة طبعٍ وجودة لسانٍ وغزارة بيانٍ وإيجازٍ مع إعجاز.

لقد أوتي جوامع الكلم وبدائع الحكم وبلاغة القول ، بما جُمع له ﷺ من أصالة المنشأ القرشي ،وقوة عارضة البادية وجزالتها ، ورقة ألفاظ الحاضرة ، إضافة إلى جريان الآي القرآني المبارك على لسانه والعصمة الربانية التي لا تنبغي لأحد من بعده .

(١) رواه مسلم (٢٤٩٥) و البخاري تعليقاً (٢/٢٠٧).

(٢) متفقٌ عليه ، رواه البخاري (٣٥٦٨) و مسلم (٣٠١٤).

(٣) رواه البخاري (٩٥).

(٤) المخصّص (١ / ٢١٠)، لسان العرب (٣ / ٢١١)،النهاية في غريب الأثر (٢ / ٩٠٩).

و الْمَعْنَى المستفاد من هذه الأحاديث : أن رَسُول اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ يُتَابِعُ الْحَدِيثَ و يكثره اسْتِعْجَالًا بَعْضَهُ إِثْرَ بَعْضٍ لِئَلَّا يَلْتَبِسَ عَلَى الْمُسْتَمِعِ [١]، زَاد أبو يعلى مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ الْمُبَارَكِ عَنْ يُونُسَ : إِنَّمَا كَانَ حَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ :« فَصْلًا فَهْمًا تَفْهَمُهُ الْقُلُوبُ ». [٢]

يبالغ في إفصاحه وبيانه ، و يحدِّث حديثًا واضحًا مبينًا ، ولو أراد المستمع عدّ كلماته أو حروفه لأمكنه بسهولةٍ ؛ لقلّتها و وضوحها و جزالتها. [٣]

و إنما كان يكرِّر الكلام ثلاثًا، إذا خشى أن لا يفهم عنه، أو لا يسمع ، أوإذا أراد الإبلاغ في التعليم، أو الزجر في الموعظة ، و أن الثلاث غاية ما يقع به البيان والإعذار. [٤]

وكان الصحابة (رضي الله عنهم) أحظى هذه الأمة بسماع سنته وأصدقهم نقلاً لصفة كلامه ﷺ وحسن منطقه وجودة عبارته .

و ما نقله أصحابه من كلامه ذو دلالاتٍ عظيمةٍ منها :

أنهم (رضي الله عنهم) مورد اللغة العربية ومنهل الفصاحة والبيان ، وأهل الخبرة والمعرفة باللسان العربي ، لم يتسرَّب إليهم الفساد في اللفظ ولم يخلّطوا الكلام فكان المصطفى ﷺ بشهادتهم في الذّروة العليا من الفصاحة والبلاغة .

أنهم لم يحكموا على خطبه أو مواعظه أو نصائحه على حِدَةٍ ،في ساعة مؤقتة أو فترة محددة، فربما نمّقها ، وأولاها عنايته واهتمامه ، ولكنه وصفٌ عامٌ دائم لا ينفكُّ

---

(١) شرح النووي (٨ / ٢٦٢)، عمدة القاري (٢٤ / ١١٦)،تحفة الأحوذي (٩ / ٤٨).

(٢) رواه أبو يعلى (٤٣٩٣) قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، أَخْبَرَنَا يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، عنها .

(٣)المفهم (٦/٢١)، فتح الباري (٦ / ٥٧٨)، التيسير بشرح الجامع الصغير (٢ / ٥٣٢)، فيض القدير (٥ / ٢٦٧).

(٤) شرح ابن بطال (١ / ١٧٧).

عن منطقه ، ولا يتخلَّف عن قوله ، دائمٌ في سائر أحواله من إقامة وسفر ، وجهاد ودعوة ، مذ كرمه ربه تبارك وتعالى بآياته و اختاره لختم رسالاته.

منطقه البهيّ و حديثه النديّ مكّن أصحابه (رضي الله عنهم) من حفظ سنته في الصُّدور ، ونقل دقيقها وجليلها لمن بعدهم على الوجه الذي سمعوه من فِيه ﷺ .

كما أن أسلوبه الحديثي الخاص يكشف لمن اعتاد سماعه ما ألصق به من الروايات الباطلة والأحاديث الموضوعة وتمييز الصحيح من السقيم بما تنفر أسماعهم منه لركاكته وضعف بنائه و سخف مراده .

أحبّ الصحابة (رضي الله عنهم) النبي ﷺ ، وأحبوا كلامه العذب فكان ملأ السمع و لذّة القلب و راحة المشاعر، وعاه من سمعه من كبير وصغير ، ورجل وامرأة ، متقدم في العلم أو مبتدئ فيه ، وكذا الحاضر والباد .

ويأتي دورنا في الاقتداء به في دروسنا ومواعظنا وحياتنا كلها لنتعلم منه فنّ الحديث الطيّب المحبّب ، و الأسلوب الجذّاب المهذّب ، والحوار البناء والجواب العلمي المقنع ، والإنصات الحكيم ، وغيرها من فنون الكلام المستفادة من سنته ﷺ ، إضافة إلى التنّور بأمثاله البديعة وحكمه الجامعة المنيعة ، والاستشهاد بها في المواقف المناسبة .

في نفي عائشة (رضي الله عنها) أن يكون النبي ﷺ يسرد الكلام و يلقيه تباعاً ، تنبيهٌ إلى حاجة الخطيب والداعية إلى المواعظ الجزلة والدروس الموجزة ، والدعوات الجامعة ، و تجنب الإطالة المقيتة ، و التفاصيل الدقيقة ، اتّباعاً لهديه ﷺ : « إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ، مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ، فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ، وَاقْصُرُوا الْخُطْبَةَ، وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا »[1]

قال المناوي (رحمه الله):

(١) رواه مسلم (٨٧٢).

على المدرس أن لا يسرد الكلام سرداً بل يرتّله ويزيّنه ويتمهّل ليتفكّر فيه هو وسامعه ،وإذا فرغ من مسألةٍ أو فصلٍ سكت قليلاً ليتكلم من في نفسه شيء.(١)

❋❋❋

المطلب الخامس : ضحكه ومزاحه ﷺ :

عنْ جَرِيرٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ، قَالَ: « مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي».(٢)

عَنْ أَبِي ذَرٍّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ، كَذَا، وَكَذَا، كَذَا، وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ، كَذَا، وَكَذَا، كَذَا، وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ، وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَيَقُولُ: رَبِّ قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَا هُنَا ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ، حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ».(٣)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا، قَالَ: « إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا ».(٤)

(١) فيض القدير (٥ / ٢٦٧)

(٢) متفق عليه ، رواه البخاري (٣٨٢٢) ، و مسلم (٢٤٧٧) و اللفظ له .

(٣) رواه مسلم (٢٨٢).

(٤) رواه الترمذي (١٩٩٠) قال: حَدَّثَنَا عَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الدُّورِيُّ الْبَغْدَادِيُّ، حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، مرفوعاً . =

البسمةُ آية من آيات الله تعالى ، ونعمةٌ ربانية عظيمة ، إنها سحر حلال تنبثق من القلب ، و ترتسم على الشفاه فتنثر عبير المودَّة ، وتنشر نسائم المحبَّة ، وتستلُّ عُقَد الضَّغينة والبغضاء ، لتحلّ الألفة والإخاء ، و كما قال ابْنُ عُيَيْنَةَ : الْبَشَاشَةُ مِصْيَدَةُ الْمَوَدَّةِ وَالْبِرُّ شَيْءٌ هَيِّنٌ وَجْهٌ طَلِيقٌ وَكَلَامٌ لِينٌ[1] .

وقيل :

بشاشةُ وجه المرءِ خيرٌ من القِرَى فكيفَ بمن يأتي بهِ وهو ضَاحكُ [2]

ولقد أرسى الحبيب محمد ﷺ خلق البسمة والبشاشة و علّم الإنسانية هذه اللغة العالمية اللطيفة بقوله وفعله وسيرته العطرة.

فكان ﷺ بسّام الثغر طلق المحيا ، يحبه بديهة من رآه ، ويفديه من عرفه بنفسه و أهله وأغلى ما يملك !

لقد كان تبسمه لأهله وأصحابه بذراً طيباً آتى أُكُله ضعفين ، خيراً في الدنيا وأجراً في الآخرة .

أما الخيرية العاجلة ؛ فانشراح القلب و راحة الضمير ، و تأليف القلوب ، ويتبعها منافع صحيّة أخرى أثبتها الأطباء على البدن ، و مصالح اجتماعية و شرعيّة من ربط الأخوّة بحبل المودَّة المتين ، و ترغيبها لحبّ الدين ، فالبسمةُ

= و أحمد (١٩٩٠) و البيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٤٧) ، و البغوي في شرح السنة (٣٦٠٢) و تابع أُسَامَة بْن زَيْدٍ الليثي عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ به ؛ محمدُ بن عجلان القرشي و هو صدوقٌ حسنُ الحديث ، رواه أحمد (٨٢٧٦) و البيهقي في الصغرى (٤٧٠٥) و الطبراني في الأوسط (٨٧٠٦) .

قَالَ أَبُو عِيسَى والبغوي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ ، و مَعْنَى قَوْلِهِ: إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا: إِنَّمَا يَعْنُونَ إِنَّكَ تُمَازِحُنَا.

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية (٥ / ٧٧).

(٢) المستطرف (١ / ٣٩٥).

بريدٌ عاجلٌ إلى الناس كافة لا تكلِّفنا مؤناً مالية أو متاعب جسدية بل تبعث في ومضةٍ سريعة يبقى أثرها الحميد عظيماً في النفوس !

و الخيرية الآجلة ؛ الثواب المثبتُ في جزاء الصدقة وبذل المعروف ، فالتبسُّم في وجه المسلم صدقة فاضلة هيّنة يسطيعها الفقير والغني على حدٍّ سواء .

ولنقف على أثر الابتسامة الكبير من معين السنة الشريفة ؛ نستمع إلى جَرِير بن عبدِ اللهِ البجلِيّ و هو سيدٌ في قومه يحدّثنا بفخرٍ و اعتزاز عن رسول الله ﷺ ، ما رآه إلا تبسَّم في وجههِ ، و كان (رضِيَ الله عنهُ) مُظهِر الجمال ، له صورة حسنةٌ على وجه الكمال ، حتى قال عُمَرُ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) فِي حَقِّهِ أَنَّهُ يُوسُفُ هَذِهِ الْأُمَّةِ . واستدامةُ تبسُّمِ النبي ﷺ له فضيلةٌ ظاهرةٌ له . (١)

قال ابن بطال (رحمه الله):

وفيه أن لقاء الناس بالتبسُّم وطلاقة الوجه من أخلاقِ النبوَّة ، وهو منافٍ للتكبُّر وجالبٌ للمودَّة. (٢)

إن الشحَّ بالابتسامة ، وإيثارَ العبوس و الجفاء ، للظُّهور بما يُظنُّ أنه سمتُ أهل العبادة والزهد ، أو توهّم كون البشاشة سبباً لقسوة القلب و غفلته وذهاب المروءة مجافٍ لهدي النبي ﷺ و سماحته و سنته و يسر دينه ورحمته .

ألا ترى كيف ضحك الحبيب ﷺ ابتهاجاً برحمة ربه تبارك وتعالى حتى بدت نواجذه ! تعبيراً عن المبالغة في أنسه برحمة ربّه و فرحه ببشارته ، و إلا ما كان يبلغ به الضّحك حتى تظهر أضراسه . (٣)

وكان ﷺ يداعب الصغار و يسليهم ، ويؤانس أصحابه الرجال ويمازحهم ، حتى يقول القائل منهم . متعجباً لسماحته ﷺ :" يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا"!.

---

(١) شرح النووي (٨ / ٢٣٨)، جمع الوسائل في شرح الشمائل (ص٢٣).

(٢) شرح ابن بطال (٩ / ٢٥٢)، عمدة القاري (٢٢ / ١٠٠).

(٣) إكمال المعلم (١ / ٣٦٩)، الفائق في غريب الحديث (٣ / ٣٠٣) ، تحفة الأحوذي (٦ / ٣٩١).

فيبيّنُ لهم بأنه وإن لاطفهم و أضحكهم قد أتى بضابط الدُّعابة و هو : « إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا » أي صدقاً وعدلاً ، لا يغضب جدّه بخلاف المزاح في الباطل من السُّخرية والاستهزاء و نحو ذلك من الأذى و الكذب و الضحك المفرِط الموجب لقساوة القلب [1].

فالمداعبة مطلوبةٌ محبوبةٌ لكن في مواطن مخصوصة ، فليس في كل آن يصلح المزاح ولا في كل وقت يحسن الجدّ .

أهازل حيث الهزل يحسن بالفتى وإني إذا جدّ الرجال لذو جدّ

قال الراغب (رحمه الله): المزاح والمداعبة إذا كان على الاقتصاد محمودٌ والإفراط فيه يذهب البهاء ويجرِّئ السفهاء، وتركه يقبض المؤانس ويوحش المخالط ، والمنهي عنه ما فيه كذب أو مداومة عليه لما فيه من الشغل عن ذكر الله تعالى ، أو تسببه في إذكاء العداوة و البغضاء . [2]

و قد قيل من شعر الحكمة :

مازح صديقكَ إن أراد مزاحا فإذا أباهُ فلا تزده جِمَاحا

فلربما مزح الصديق بمزحـــــةٍ كانت لبدءِ عداوةٍ مِفتاحَـــا[3]

❋❋❋

(١) جمع الوسائل (ص٣٥) و ينظر : التيسير بشرح الجامع الصغير (١ / ٧٤٤)،

(٢) فتح الباري (١٠/٥٢٦) ، تحفة الأحوذي (٦/١٠٨)، فيض القدير(٣/١٤).

(٣) الآداب الشرعية (٢ / ٣٢٢).

المبحث الثاني : وقفاتٌ مع أدواته و مقتنياته و عاداته

المطلب الأول : صفة طعامه ﷺ :

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، أَنَّهُ مَرَّ بِقَوْمٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ شَاةٌ مَصْلِيَّةٌ، فَدَعَوْهُ فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ، وَقَالَ: « خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَشْبَعْ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ ».(١)
- و عَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)، أَنَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ ؛ ابْنَ أُخْتِي : « إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلَالِ، ثُمَّ الْهِلَالِ ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَارٌ، فَقُلْتُ: يَا خَالَةُ، مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: الْأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِيرَانٌ مِن الْأَنْصَارِ كَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَلْبَانِهِمْ فَيَسْقِينَا ».(٢)

❋❋❋

غريب الحديث :

مَصْلِيَّةٌ : المَصْلِيّة المشوِيّة يقال صَلَيْتُ اللحم – بالتخفيف : أي شَوَيْته فهو مَصْلِيٌّ ، فأما إذا أحْرقْته وألقيتَه في النَّار قلت صَلَّيته بالتشديد وأصْلَيته.(٣)

مَنَائِحُ : جمعٌ ، مفردُها مَنِيحَةٌ و منيحة الغنم أن تمنح أحداً شاةً حلوباً يشرب لبنها ،ولاتكون المَنِيحةُ إلاَّ المُعارَةَ للبن خاصةً سواءً كانت من ناقة أو شاة .(٤)

(١) رواه البخاري (٥٤١٤).

(٢) متفقٌ عليه ، رواه البخاري (٢٥٦٧) و مسلم (٢٩٧٥) .

(٣) تهذيب اللغة (١٢ / ١٦٧)،الفائق في غريب الحديث (٢ / ٣١٠)، غريب الحديث لابن الجوزي (١ / ٦٠٢)، النهاية في غريب الأثر (٣ / ٩٥).

(٤)معجم مقاييس اللغة (٥ / ٢٧٨)،لسان العرب (٢ / ٦٠٧)، غريب الحديث للخطابي (١ / ٧٢٩).

عندما نلقي الضوء على مائدة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ خير هذه الأمة و أزكاهم عند ربه تبارك وتعالى فلن تطول القائمة بأصناف الطعام الفاخرة، والسفر العامرة ، لا ولا الآنية الثمينة !

لم تكن هذه اللذائذ مطلوبةً ولاحاضرةً في ذهنه المكدود بالدعوة إلى الله تعالى وهداية الأمة وبيان فرائض الدين ، ولم تسيطر تلك الشهوة على قلبه المتعلّق بالله تبارك وتعالى ، ولم تشغل من وقته إلا حيزاً يسيراً بقدر ما يشبع رمقه ويدفع جوعه وربما بات ليالي طاوياً لا يجد ما يطعمه !

نعم ، لقد آثر أن يشبع يوماً ويجوع يوماً ؛ ليتقلَّب بين نعمتي الشكر والصبر ، ذاق طعم الجوع والحرمان ولو شاء لسأل الله سبحانه كنوز الأرض ،وطيب عيشها و رغدها ، و لكن ما له وللدنيا !

فكم أنفق مما أفاء الله عليه من خيلٍ و ركابٍ وأموالٍ على أصحابه ومضى لبيته خليّاً راجياً نعيم الآخرة داعياً ربه : « اللَّهُمَّ ارْزُقْ آلَ مُحَمَّدٍ قُوتًا »[1]

وآل محمد ﷺ ؛ زوجاته ومن في نفقته أو هم مؤمنو بني هاشم والمطلب .

قُوتًا : أي بقَدْر ما يُمْسِك الرَّمَق من المَطْعَم .

قوتاً يقيم حالهم ، ويصلح أمرهم ، ويكفيهم الجهد ، وليس فيه فضولٌ تخشى عليهم فتنتهُ ، ويُخاف وباله ، فاختار لهم الذي هو أفضل لهم ، بحيث لا ترهقهم الفاقة ولا يكون فيه فضول يفضي إلى ترفه وتبسط ليسلموا من آفات الفقر والغنى ،و هذا دليلٌ على فضل الزهد في الدنيا و التقلّل منها بلا خلافٍ في فضيلته لخفّة حسابه .[2]

---

(١) متفقٌ عليه ، رواه البخاري (٦٤٦٠) و مسلم (١٠٥٨).

(٢)إكمال المعلم (٣ / ٣١٠)، الاستذكار (٢ / ٤٢٢) الديباج على مسلم (٣ / ١٣٧)، التيسير بشرح الجامع الصغير (١ / ٤١٢)،النهاية في غريب الأثر (٤ / ١٩٥)،

لقد خرج من الدنيا ﷺ و لم يشبع من خبز الشعير ! و هذا يقتضي أنه لم يكن يشبع في جملة أيامه و غالب أمره من أقلّ الأقوات قيمةً و هو الشعير ! في سائر أحواله من اليسار و الاقتصار [١].

قال ابن قتيبة (رحمه الله):

ليس يخلو قولها هذا من أحد أمرين ؛ إما أن يكون مؤثراً بما عنده حتى لا يبقى عنده و لا يجد ما يشبعه ، فإن وجد و طعمه لا يبلغ الشبع منه ولا من غيره لأنه كان يكره إفراط الشبع . [٢]

وقال ابن بطال (رحمه الله):

ولم يشبع من خبز الشعير، في كل أحواله لعوزٍ ولا ضيقٍ وكيف ذلك ؟! وقد أفاء الله عليه قبل وفاته بلاد العرب كلها ونقل إليه الخراج من بعض بلاد العجم كأيله والبحرين وهجر؛ ولكن كان بعضه لما وصفتُ من إيثار نوائب حقوق الله، وبعضه كراهيةً منه الشبع وكثرة الأكل، فإنه كان يكرهه ويؤدِّبُ أصحابه به. [٣]

وكان غالب طعامه ﷺ الأسودان الماء والتمر وهو من باب التغليب إذ الماء ليس أسود وأطلقت عائشة على التمر أسود لأنه غالب تمر المدينة[٤].

إنَّ طلبَ القوت من الرّزق والاكتفاء بالماء والتمر والإعراض عن المباهج ليس ازدراءً لنعمة الله تعالى ، و تعاظماً على فضله ، كلّا وحاشا .

ولا يعني أبداً حبس النفس و مضّارتها بحرمانها التمتع بالطيبات ، فقد أحلها الله لنا ، كما قال في كتابه العزيز : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ

(١) المنتقى (٤ / ٣٣١)،

(٢) تأويل مختلف الحديث (ص ١٤٣).

(٣) شرح ابن بطال (١٨ / ٩٧).

(٤) غريب الحديث لأبي عبيد ابن سلام (٤ / ١٣١)، فتح الباري (١١ / ٢٩٣)،عمدة القاري (٢٠ / ٦٩).

أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾[1]، وقد طعم رسول الله ﷺ اللحم والثريد، وأعجبه الدّباء و العسل و الشراب الحلو ونحوها من المأكولات المعروفة في عصره ، لكنه لم يداوم على الأصناف الشهية المفضّلة عند عامة الناس ، بل أحبّ الزهد فيها و طلب القوت من الرزق تأصيلاً لمنهج الزهد و التقلّل من الدنيا، والقناعة بما قسم الله تعالى ،والارتباط القويّ بالدار الآخرة و أن لا عيش إلا عيش الآخرة وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين ، وأن النعيم الآجل لا يدرك بالنعيم العاجل .

ومن تأمَّل حياة نبينا ﷺ و اقتصاده في العيش ، و تناوله ما تاح له و رضاه بما قُدِّم له ، و تعرّضه للجوع أياماً ، عجب من صبره و رضاه !

إن المستوى المعيشي المتواضع الذي رضيه ﷺ لم يُحبطه و يحرمه الشعور بالسعادة ،بل إنه ليراها من شقّ الصبر والقناعة و إيثار غيره و لو كان به خصاصة !

لم يقعده ذاك العيش البسيط عن النجاح في تحقيق أهدافه ، فقد نال أشرف المعالي بتبليغ الرسالة و تعليم القرآن و هداية الأمة إلى دين الله تعالى ، وبناء مجتمع صالح و تألّف الناس إليه و محبته فوق النفس و المال و الولد ! والكثير الكثير من المنجزات الخالدة الفريدة ، بل هو السابق إلى كل خير ، والمؤسس لكل صلاح ديني !

ألا فلنتدبر هديه ﷺ في تربية النفس على الكفاف في كل ما يتّصل بأمر الدنيا ،وصيانتها عن الترفّه والإسراف ،والتعفف عن مذلّة السؤال ، والحاجة إلى الناس ، ولنقتدِ به في بذل المعروف و الإيثار به و الرضى بما قدّر الله تعالى من الأرزاق والنعم .

(١) سورة المائدة ، الآيتان : ٨٧،٨٨.

المطلب الثاني : صفة أكله ﷺ :

عن وَهْبِ بْنِ كَيْسَانَ أَبِي نُعَيْمٍ،(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: « أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِطَعَامٍ وَمَعَهُ رَبِيبُهُ عُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ، فَقَالَ: سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ ». (١)

- و عن أَبِي جُحَيْفَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « لَا آكُلُ مُتَّكِئاً ». (٢)
- و عَنْ أَنَسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، قَالَ: « مَا عَلِمْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَكَلَ عَلَى سُكْرُجَةٍ قَطُّ وَلَا خُبِزَ لَهُ مُرَقَّقٌ قَطُّ وَلَا أَكَلَ عَلَى خِوَانٍ قَطُّ »، قِيلَ لِقَتَادَةَ: « فَعَلَى مَا كَانُوا يَأْكُلُونَ؟ قَالَ: عَلَى السُّفَرِ ». (٣)
- و عَنْه (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، قَالَ: « مَا عَابَ النَّبِيُّ ﷺ طَعَامًا قَطُّ إِنِ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ ». (٤)

❁❁❁

غريب الحديث :

رَبِيبُهُ : الرَّبيب ابن الزوجة ، سمِّي بذلك لأنه يربُّه ويُربِّيه، وهو الغذاء والتربية. (٥)

مُتَّكِئاً: المُتَّكئ في العربية كل من اسْتوى قاعداً على وِطاء مُتمكناً، والعامة لا تعرف المتكئ إلاَّ مَن مال في قعوده معتمِدًا على أحد شِقَّيه والتاء فيه بدل من الواو وأصله من الوِكاء وهو ما يُشَد به الكيس وغيره كأنه أوكأ مَقْعَدَته وشدّها بالقعود على الوِطَاء الذي تحته . (٦)

---

(١) رواه البخاري (٥٣٧٨). (٢) رواه البخاري (٥٣٩٨). (٣) رواه البخاري (٥٣٨٦).

(٤) متفقٌ عليه ، رواه البخاري (٥٤٠٩) و مسلم (٢٠٦٥).

(٥)تهذيب اللغة(١٥/ ١٣) لسان العرب (١ / ٤٠٣)، غريب الحديث لابن سلّام (٤ / ٤٢٠).

(٦) النهاية في غريب الأثر (١ / ٥٢٢)

سُكُرُّجَةٍ : بضم السين والكاف والراء والتشديد؛ إناءٌ صغيرٌ يؤكل فيه الشيء القليل من الأُدْمِ وهي فارسية . (١)

خِوَانٍ : ما يؤكل عليه ، لا يقال مائدةٌ إلا إذا كان عليها الطعام وإلا فهي خوان . (٢)

السُّفَرِ : جمعُ سُفْرَة الجِلدِ و هي : المائدة وما عليها من الطعام ، سُميت سُفْرَةً لأَنها تنبسط إذا أَكل عليها. (٣)

❁❁❁

إن المتأمل لهدي النبي ﷺ في نمطه الغذائي المتمثّل في نوعية طعامه وكميته وكيفية تناوله يجد فيه شمائله الكريمة ، و آدابه القيّمة التي ينادي بها الأطباء و يجمع عليها الحكماء للتغذية السليمة ، و حفظ الصحّة .

فهو يفتتح طعامه بذكر الله و يأكلُ مما يليه ، فلا تطيش يده في الطعام هنا وهناك و علّم هذا ربيبه لئلا يأنف صاحبه مؤاكلته .

وهذا من الآدابِ المتَّفق عليها ، فالنفوسُ تقزَّز بما خاضت فيه الأيدي ، واختلفت فيه أصابع الغير ، و فيه من الجشع والحرص على الطعام ، وإيثار النفس على المؤاكل ، وكلُّ هذا مذموم إذا كان الطعام كلّه نوعاً واحداً، بخلاف إذا اختلف أجناس الطعام فلكلِّ نفسٍ ما تشتهيه من ذلك. (٤)

---

(١) لسان العرب (٢ / ٢٩٩)، النهاية في غريب الأثر (٢ / ٩٦٨).

(٢) المزهر في علوم اللغة (١ / ٣٤٩)، لسان العرب (١٣ / ١٤٤)،المعجم الوسيط (١ / ٢٦٣)، النهاية في غريب الأثر – (٢ / ١٨٣).

(٣) المخصص لابن سيده(١/ ٤١٤)، لسان العرب (٤ / ٣٦٧)،المعجم الوسيط (١ / ٤٣٣)،

(٤) إكمال المعلم (٦ / ٢٥١)، التمهيد (١ / ٢٧٧)، المنتقى (٤ / ٣٤٤).

ومن شمائله التواضع عند تناول الطعام ؛ يقعد كهيئة العبد على سفرة الجلد فلم يأكل متّكئاً كحال من يريد الاستكثار من الطعام و يقعد متمكّناً له متعالياً على خوانٍ مبسوطٍ[١] .

و الاتكاء على ثلاثة أنواع ؛ أحدها : الاتكاء على الجنب ، و التربّع ، و الثالث الاتكاء على إحدى يديه و أكله بالأخرى و الثلاث مذمومة .[٢]

قال ابن بطال (رحمه الله):

من أكل متكئاً فلم يأت حرامًا، وإنما يكره ذلك؛ لأنه خلاف التواضع الذى اختاره الله لأنبيائه وصفوته من خلقه، وقد أجاز ابن سيرين و الزهري الأكل متكئاً.[٣]

و من شمائله الكريمة ، رعاية حرمة النعمة ، فلم يذمّ طعاماً مباحاً سواءً كان من جهة الخلقة أو من جهة الصَّنعة ، فإن عافته نفسه تركه و لم يفنّد.[٤]

قال القرطبي (رحمه الله):

هذا من أحسن آداب الأكل ، وأهمِّها ، وذلك : أن الأطعمة كلها نعم الله تعالى ، وعيب شيء من نعم الله تعالى مخالفٌ للشكر الذي أمر الله تعالى به عليها ، وعلى هذا : فمن استطاب طعامًا فليأكل ، ويشكر الله تعالى ؛ إذ مكَّنه منه ، وأوصل منفعته إليه وإن كرهه ؛ فليتركه ، ويشكر الله تعالى ؛ إذ مكّنه منه ، وأعفاه عنه ، ثم قد يستطيبه ، أو يحتاج إليه في وقت آخر فيأكله ، فتتم عليه النعمة ، ويَسْلَم مما يناقض الشكر .[٥]

---

(١) شرح النووي (٧ / ١٠٠)، تحفة الأحوذي (٥ / ٣٧).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (١ / ١٤٢).

(٣) شرح ابن بطال (١٨ / ٨٩).

(٤)مشارق الأنوار (٢ / ١٠٦)، فتح الباري (٩ / ٥٤٧) ،

(٥) المفهم (١٧ / ٥٠). و قد أنهى أبو بكر بن العربي آداب الأكل والشرب والمناولة والاجتماع على الطعام إلى مائة وأربعة وسبعين أدباً. إتحاف القاري بدرر البخاري (٨ / ١٦٨).

ومن الهدايات النبوية ؛ تقليل الطعام و الاقتصار على لقيماتٍ تقيم البدن ، وتدفع حرارة الجوع ، كما في الحديث : « بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ » (١)

هذا المقدار يكفل للجسم العناصر الغذائية التي يحتاجها ليقيم صلبه ، كما إنه كافٍ لدفع الجوع و تمرين الجسم على التخفيف و علاج البطنة .

و في قلة الأكل و ترك النَّهم منافع كثيرة ؛ منها أن يكون المرء أصح جسماً وأجود حفظاً وأزكى فهماً وأقل نوماً وأخف نفساً ، وفي كثرة الشبع كظّ المعدة ونتن التخمة ويتولد منه الأمراض المختلفة فيحتاج من العلاج أكثر مما يحتاج إليه المقلُّ في الأكل . (٢)

وقال بعض الحكماء : أكبر الدواء تقدير الغذاء . (٣)

و ذكر هذا الحديث لبعض الفلاسفة فقال :ما سمعت كلاما في قلة الأكل أحكم من هذا. (٤)

وفي وقتنا المعاصر الثري بالتقنية والعلوم التخصصية الحديثة نلمس قيمة هذه النصيحة النبوية الدقيقة المعجزة في مجال الصحة !

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٨٠) قال: حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ نَصْرٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيل بْنُ عَيَّاشٍ، حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ الْحِمْصِيُّ، وَحَبِيبُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ جَابِرٍ الطَّائِيِّ، عَنْ مِقْدَامِ بْنِ مَعْدِ يكَرِبَ مرفوعاً.

و رواه :النسائي في الكبرى (٦ / ٢٦٧) و أحمد (١٦٧٣٥) و ابن حبان (٦٧٤) و الحاكم (٤/ ١١٧) و الطبراني في الكبير (٦٤٤) جميعهم من طريق : يَحْيَى بْنِ جَابِرٍ الطَّائِيِّ به بلفظه .

قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ . و قال الحاكم : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

(٢) جامع العلوم والحكم (ص ٤٢٨).

(٣) تفسير القرطبي(ج٧/ص١٩٢).

(٤) فتح الباري (ج٩/ص٥٢٨).

و نرى في مجتمعاتنا المسلمة آثار التخلّي عن تطبيقها بتفشّي أمراض البدانة ، وما يترتب عليها من إنشاء المراكز الصحّية للعناية بتقليل الوزن ، و إعداد البرامج الغذائية للتخفيف و الحمية و صرف العقاقير الطبية ، ونحوها مما يستنزف الوقت والمال والجهد والصحة !

إننا بحاجة ماسة إلى تطبيق آداب الطعام النبوية في حياتنا اليومية ، لنحقق سنة الاتباع لسيد المرسلين ﷺ، و ننال بركة الاسترشاد بهديه القويم في صلاح الخلق و تهذيب النفس إلى جانب حفظ الصحة و سلامة البدن .

❁❁❁

المطلب الثالث : لباسه و فراشه ﷺ :

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي سَفَرٍ، فَقَالَ: أَمَعَكَ مَاءٌ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَنَزَلَ عَنْ رَاحِلَتِهِ فَمَشَى حَتَّى تَوَارَى عَنِّي فِي سَوَادِ اللَّيْلِ، ثُمَّ جَاءَ، فَأَفْرَغْتُ عَلَيْهِ الْإِدَاوَةَ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ، وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُخْرِجَ ذِرَاعَيْهِ مِنْهَا حَتَّى أَخْرَجَهُمَا مِنْ أَسْفَلِ الْجُبَّةِ .. » الحديث .[1]

و عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، قَالَ: « جَاءَتِ امْرَأَةٌ بِبُرْدَةٍ، قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ؟ فَقِيلَ لَهُ: نَعَمْ، هِيَ الشَّمْلَةُ مَنْسُوجٌ فِي حَاشِيَتِهَا، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي نَسَجْتُ هَذِهِ بِيَدِي أَكْسُوكَهَا، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اكْسُنِيهَا؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ، ثُمَّ رَجَعَ فَطَوَاهَا، ثُمَّ أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ: مَا أَحْسَنْتَ، سَأَلْتَهَا إِيَّاهُ، لَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ سَائِلًا، فَقَالَ الرَّجُلُ: وَاللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِتَكُونَ كَفَنِي يَوْمَ أَمُوتُ، قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنَهُ ».[2]

وعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: « قُلْتُ لَهُ: أَيُّ الثِّيَابِ كَانَ أَحَبَّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَلْبَسَهَا؟ قَالَ: الْحِبَرَةُ».[3]

وعَنْ عَائِشَةَ،قَالَتْ:«كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَدَمٍ وَحَشْوُهُ مِنْ لِيفٍ».[4]

عن ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) يُحَدِّثُ عن عُمَر بْن الْخَطَّابِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)حديثاً طويلاً وفيه: « تبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَإِنَّهُ لَعَلَى حَصِيرٍ مَا بَيْنَهُ

(١) متفقٌ عليه ، رواه البخاري (٥٧٩٩) ، و مسلم (٢٧٤).

(٢) رواه البخاري (٢٠٩٣).

(٣) متفقٌ عليه ، رواه البخاري (٥٨١٢) ، و مسلم (٢٠٨١).

(٤) متفقٌ عليه ، رواه البخاري (٦٤٥٦) ، و مسلم (٢٠٨٤).

وَبَيْنَهُ شَيْءٌ، وَتَحْتَ رَأْسِهِ وِسَادَةٌ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ، وَإِنَّ عِنْدَ رِجْلَيْهِ قَرَظًا مَصْبُوبًا وَعِنْدَ رَأْسِهِ أَهَبٌ مُعَلَّقَةٌ، فَرَأَيْتُ أَثَرَ الْحَصِيرِ فِي جَنْبِهِ، فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: " مَا يُبْكِيكَ؟ " فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ كِسْرَى وَقَيْصَرَ فِيمَا هُمَا فِيهِ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ: " أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِـــرَةُ ».[1]

❋❋❋

غريب الحديث :

جُبَّةٌ : الجبّة ضربٌ من مقطّعات الثياب ؛ ثوب سابغ واسع الكمين ، مشقوق المقدم يلبس فوق الثياب ، وجمعها:جُبَب وجباب .[2]

الْحِبَرَةُ : بكسر الحاء المهملة ؛ ضربٌ من البرود، و هو : ثوبٌ من قطن أو كتان .[3]

قَرَظًا : القَرَظُ ، مُحَرَّكَة : وَرَقُ السَّلَمِ يُدْبَغُ بِهِ الجلد .[4]

أَهَبٌ : بضم الهمزة والهاء وبفتحهما ؛ أُهُب وأَهَبٌ مؤنثة ،جمعُ:إِهَاب وهو الجلد ، وقيل إنما يقال للجلد إهاب قبل الدبغ فأَما بعده فلا .[5]

---

(١) متفقٌ عليه ، رواه البخاري (٤٩١٣) و مسلم (٢٧١٣).

(٢) المحكم والمحيط الأعظم (٧ / ٢٢٤)، المعجم الوسيط (١ / ١٠٤).

(٣) المعجم الوسيط (١ / ١٥١)، الفائق في غريب الحديث (٢ / ٢٨٧).

(٤) تاج العروس (٢٠ / ٢٥٦)،غريب الحديث لابن سلام (٣ / ١٨٣)،النهاية في غريب الأثر (٢ / ١٠٩٣).

(٥) تهذيب اللغة (١٤ / ١٥١)،المخصص لابن سيده (١ / ٤٠٥)،النهاية في غريب الأثر (١ / ١٩٨).

عادةً ما يكون لباس المرءِ عنواناً لطبيعته الكامنة ، فإن ما ترسخ جذوره في الباطن لا بدّ أن تبدو ثماره في الظاهر ، ولذا كان أجمل لباس و أحسنه هو التقوى النابت من القلب و الممتدّ على الجوارح ، ليسبغ على لابسه خلائق الستر والحياء والعفاف،قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ ﴾ (١).

هذا اللباس المحمود هو أحبُّ لباسٍ تدثَّره الحبيب ﷺ ، و أقربه إلى نفسه ، اللباس الذي يحمل معالم التقوى و حقيقته بما يمتاز به من ستر العورات ، والبعد عن الإسراف والشهرة والخيلاء ، وعن مشابهة الكفار مما هو من خصائصهم إلى غيره من النواهي الشرعية .

وكان أحبّ أنواع الثياب إليه الحِبَرَة ، وهي : برد يماني من قطن محبّر مزيّن ، والظاهر أنه أحبها للينها و طراوتها وحسن انسجام نسجها ، وإحكام صنعتها وموافقتها لجسده الشريف و كانت أشرف الثياب عندهم، ألا ترى أنه ﷺ سُجي بها حين توفي، ولو كان عندهم أفضل من البرود شيء لسُجي به. (٢)

إلا أنه لم يرقّه نفسه بالمواظبة على الثياب المريحة والقُمُص الناعمة . بل كان يرتدي ما سنح له مما ملكه أو أُهدي له لسماحته ، و بساطة عيشه ، وكثرة ورعه ، فاتَّزر واتخذ الرداء ، واشتمل الكساء ، و تحلّى بالبرد ، ولبس جبة الصوف ضيقة الأكمام ، و ربما ارتدى حلّةً جميلةً أعجب بها أحد أصحابه فلم تلبث على جسده إلا يسيراً ثم أهداها له ! لا يغريه رونقها و حسنها عن الجود بها ، كما لم يسؤه خشونة جبة الصوف أن تلازمه أمداً .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية :٢٦.

(٢) شرح ابن بطال (١٧ / ١١٩)، إكمال المعلم (٦ / ٣٠٢)،المواهب المحمدية (١/٢١١).

ما أعظم هذه النفس الأبية التي لا ترضى أن تقع تحت تأثير متاع الدنيا مهما كان رائعاً و جذّاباً ، أو حقيراً زهيداً !

نفسٌ طامحةٌ إلى ما أعدَّه المولى سبحانه وتعالى لأوليائه من نعيم دائم ، و خير تامّ ، لا ينقطع و لا يمتنع و لم يخطر على قلب بشر .

أما فراشه الذي ينام عليه فبساطٌ غليظٌ من الجلد المحشو من الليف الخشن ، بقدر مايقيه وعورة الأرض و حرارتها و يمنحه حاجته من النوم ، غير مسترسلٍ في الراحة و الغفلة عن قيام الليل ، و ذكر الله تبارك وتعالى .

و ربما نام على الحصير فأثّر على جلده الشريف وجنبه ! فأبكى عُمَر (رضي الله عنه) رحمة و شفقة على حاله المؤثرة ﷺ ، عُمَرُ المعروف بشدّة الشَّكيمة و قوّة الشخصية !

أبكته حال الحبيب ﷺ وقلّة ما عنده من المتاع ! و تمنّى له ما لكسرى وقيصر من الفرش الوثيرة ، والأسرة المريحة ، والأثاث الفاخر ، والدِّثار الناعم ، فجذبه الحبيب ﷺ بلطفه المعهود إلى ما يرجوه من المآل المنشود و النعيم الموعود في الآخرة ...و الآخرة خير وأبقى .

"قال ذلك .. لأنه شاهد بعين الفؤاد موعود الجزاء، فاستوى عنده ذهبها وترابها فترك الفاني للباقي على يقينٍ ومشاهدةٍ وآثر الصبر بحبس النفس عما تشتهيه طبعاً مما هو محلل لها شرعاً ، فتدبَّر شأن أهل الكمال.!" [(١)]

قال النووي (رحمه الله): في هذه الأحاديث المذكورة في الباب ما كان عليه النبي ﷺ من الزهادة في الدنيا والإعراض عن متاعها وملاذِّها وشهواتها وفاخر لباسها ونحوه واجتزائه بما يحصل به أدنى الاجزاء ، وفيه الندب للاقتداء به صلى الله عليه و سلم في هذا وغيره [(٢)].

(١) فيض القدير (٢ / ٢٠٧).

(٢) شرح النووي (١٤ / ٥٦).

المطلب الرابع : سلاحه و خاتمه ﷺ.

عَنْ أَنَسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ.وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً فَخَرَجُوا نَحْوَ الصَّوْتِ فَاسْتَقْبَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدِ اسْتَبْرَأَ الْخَبَرَ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ وَفِي عُنُقِهِ السَّيْفُ وَهُوَ يَقُولُ: « لَمْ تُرَاعُوا لَمْ تُرَاعُوا، ثُمَّ قَالَ: وَجَدْنَاهُ بَحْرًا، أَوْ قَالَ إِنَّهُ لَبَحْرٌ ».(١)

عَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)، قَالَتْ: « تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ »، وَقَالَ يَعْلَى، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ دِرْعٌ مِنْ حَدِيدٍ، وَقَالَ مُعَلًّى حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، وَقَالَ: رَهَنَهُ دِرْعًا مِنْ حَدِيدٍ.(٢)

عَنْ أَنَسٍ :« أَنَّ أَبَا بَكْرٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) لَمَّا اسْتُخْلِفَ بَعَثَهُ إِلَى الْبَحْرَيْنِ وَكَتَبَ لَهُ هَذَا الْكِتَابَ وَخَتَمَهُ بِخَاتَمِ النَّبِيِّ ﷺ وَكَانَ نَقْشُ الْخَاتَمِ ثَلَاثَةَ أَسْطُرٍ مُحَمَّدٌ سَطْرٌ، وَرَسُولُ سَطْرٌ، وَ(اللَّهِ) سَطْرٌ ».(٣)

غريب الحديث :

عُرْيٍ : أي لا سَرْجَ عليه ولا غيره ، والجمع:أَعْرَاء.(٤)

دِرْعٌ : يعني درع الحديد ، تؤنث و تذكّر ، و ادّرع الرجل ؛ لبس درعاً .(٥)

---

(١) متفقٌ عليه ، رواه البخاري (٢٩٠٨) ، و مسلم (٢٣٠٩).

(٢) متفقٌ عليه ، رواه البخاري (٢٩١٦) ، و مسلم (١٦٠٤) بلفظ : « اشْتَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ يَهُودِيٍّ طَعَامًا وَرَهَنَهُ دِرْعًا مِنْ حَدِيدٍ ».

(٣) متفقٌ عليه ، رواه البخاري (٣١٠٦) ، و مسلم (٢٠٩٢) بمعناه .

(٤) المخصص لابن سيده (٢ / ١١٢)،المحكم والمحيط الأعظم (٢ / ٢٣٢)،النهاية في غريب الأثر (٣ / ٤٥٢).

(٥) المعجم الوسيط (١ / ٢٨٠)،غريب الحديث للحربي (٢ / ٦٩٤).

كثيراً ما تكون القوّة النافذة و الآلة الحربية المتطوّرة سبباً لطغيان الأمم و سطوتها على غيرها لتحقق أكبر قدر من الثروات و انتهاك الحرمات ! ما دام أن الحكم والقانون مستمدٌ من آلة الهوى والمادة .

وفي رحاب الإسلام تقترن القوة بالعدل في تلازم دائم وتكامل متّزن ، منبثق من هدي النبي ﷺ الذي يدعو إلى ابتغاء سبل القوة و اتخاذ العدّة المرهبة للعدو إلى جانب العناية بالضوابط الشرعية لها ، و وضعها في مواضعها المناسبة ، متوخّياً العدل والحقّ .

فحينما حمل نبينا ﷺ السيف و اتخذ الدُّرع و خاضَ الغزوات ، محرزاً انتصارات عظيمة ، و فتوحاً كبيرة ، لم تُغْرِه نشوة الفرح بالعدوان واستباحة ما حرم الله تعالى مع من حارب الله و رسوله ، ممتثلاً قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ [1]

هذا الميزان الرباني العظيم الذي أقامه المولى سبحانه تجسّد في خلق النبي ﷺ مع أعدائه في الحرب والسلم ،و الغضب والرضا ، والمكره والمنشط ، مسطراً أروع صور العزة و البسالة ،والإقدام والعدالة.

" كانت فرسه بحراً..في الجري والسرعة لا ينقطع كما لا ينقطع ماء البحر." [2]

و كان ﷺ بحراً ... في غزارة قوته ، واتساع أفقه ، و عمق خبرته ، و روعة عزيمته و توكّله !

بحراً ... في الثبات عند الفتن ، و الصبر حين المحن ، وتحقيق أدب الحرب ، وتأصيل الخبرات العسكرية الفذّة ، و إعداد الجيوش المنظّمة .

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٨.

(٢) الفائق في غريب الحديث (٣ / ١٧٧)، النهاية (١ / ٢٤٧)، شرح النووي (١٥ / ٦٨)، عمدة القاري (٢١ / ٢٤٧).

متخذاً بأس السيف و حدّته ، و رمي السهم و سرعته ، و ما استطاعه من قوّةٍ ومن رباط الخيل !

ركب فرساً مستعاراً عُرْياً بلا سرج ، متقلّداً سيفه كأفضل سلاحٍ و مركبٍ عرفه الناس في عهده ،مبتدراً شجاعته ، مستعجلاً إلى العدوّ قبل الناس كلهم ليكشف الحال و يدفع الخطر الطارئ !

أقبل إليهم مطمئناً و مثبتاً لهم بقوله : « لَمْ تُرَاعُوا لَمْ تُرَاعُوا »! " أَيْ :رَوْعًا مُسْتَقِرًّا أَوْ رَوْعًا يَضُرُّكُمْ". (١)

لقد أفاد نبينا ﷺ من خطط فارس،وحضارة كسرى وقيصر في الصّناعة كاتخاذ الخاتم،وإضافة الطابع الإسلامي الذي يميّز حامله بنقش(محمد رسول الله).

ولم يتخلّ عن اتخاذ الأسباب المعينة على النصر ، القاهرة للعدو ، اتّكالاً على عصمة الله له ، وشرفه عند ربه سبحانه .

وهذا شأن الأنبياء الذين حازوا صفات الكمال في الأخلاق و الفضائل لم يتّكاسلوا عن اتخاذ الأسباب.

إن الأمة الإسلامية اليوم بأمس الحاجة إلى أن تعود لله حقّاً ، وتصدق إيمانها به ،وتحقق التقوى ، كما عليها أن تقتبس من هدي نبيها ﷺ القيم الحضارية الحربية ، ومنهج الإعداد والتسلّح بكلّ أنواع القوة العلمية والعملية، لتبني مجدها و تبسط عزها ، و ترغم أعداءها على احترام كيانها ، وسلامة أوطانها .كما أوصى ربنا تبارك وتعالى في كتابه : ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ (٢)

(١) شرح النووي (١٥ / ٦٨).

(٢) سورة الأنفال ، الآية : ٦٠.

المطلب الخامس : نومُهُ و تعطّره ﷺ :

عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ : « كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنَامَ وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ رَأْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَجْمَعُ أَوْ تَبْعَثُ عِبَادَكَ ».(١)

- وعَنْ حُذَيْفَةَ(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا)، قَالَ: « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنَامَ، قَالَ: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وَأَحْيَا، وَإِذَا اسْتَيْقَظَ مِنْ مَنَامِهِ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ».(٢)
- وعَنْ عَائِشَةَ، أَنّ النَّبِيَّ ﷺ : « كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا، فَقَرَأَ فِيهِمَا: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ».(٣)
- وعَنْ أَنَسٍ،قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَزْهَرَ اللَّوْنِ، كَأَنَّ عَرَقَهُ اللُّؤْلُؤُ، إِذَا مَشَى تَكَفَّأَ، وَلَا مَسِسْتُ دِيبَاجَةً، وَلَا حَرِيرَةً، أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا شَمِمْتُ مِسْكَةً،وَلَا عَنْبَرَةً، أَطْيَبَ مِنْ رَائِحَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ».(٤)

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٩٨) قال : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، مرفوعاً به .

و رواه : أحمد (٢٢٧٣٢) و الحميدي (٤٤٩) و البزار في البحر الزخار (٢٨٢٥) من طريق سفْيَانُ بن عُيينة به بلفظه و زاد البزار : هَكَذَا رَأَيْتُهُ عَنْهُ فِي مَوْضِعٍ، وَرَأَيْتُهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ عَنْ حُذَيْفَةَ أَنَّهُ: كَانَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ قَالَ: "اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَحْيَا، وَبِاسْمِكَ أَمُوتُ، وَإِذَا قَامَ مِنْ مَنَامِهِ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ "

قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .و صححه السيوطي و الألباني .

الشمائل الشريفة للسيوطي (ص ١٩٨)، الجامع الصغير (٦٨٠٤)،السلسلة الصحيحة (٢٧٥٤)

(٢) رواه البخاري (٦٣٢٤). (٣) رواه البخاري (٥٠١٨).

(٤) متفقٌ عليه ، رواه البخاري (١٩٧٣)بنحوه ، ومسلم (٢٣٣٢) و اللفظ له .

• و عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: « دَخَلَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ فَنَامَ عِنْدَنَا، فَعَرِقَ، وَجَاءَتْ أُمِّي بِقَارُورَةٍ، فَجَعَلَتْ تَسْلِتُ الْعَرَقَ فِيهَا، فَاسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟ قَالَتْ: هَذَا عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَا، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ ».[1]

غريب الحديث :

نَفَثَ: يَنْفُثُ نَفْثًا، النَّفْث بالفَم وهو شَبيه بالنَّفْخ وهو أقَلُّ من التَّفْل ، إخراجُ ريحٍ من الفم مع شيءٍ يسيرٍ من الريق. [2]

الْفَلَقِ: الشّقُّ فلقَه يفلِقُه فَلْقاً ،و هو الصُّبح نَفْسُه . [3]

❋❋❋

حينما يودّ أحدنا أن يخلد للنوم بعد نهارٍ أمضاه وجهدٍ قضاه ؛ يأوي لفراش مريحٍ وغطاء ناعمٍ و مكانٍ هادئٍ لينال حظاً كافياً من الدَّعة والراحة .

وهذا أمرٌ طبيعي ، غير أن هذه المعطيات قد تتوفر للبعض على أحسن الوجوه وأكملها فلا تؤمّن لهم النوم المنشود لسكن الفؤاد وراحة البال !

وربما يعاني هؤلاء من أرقٍ واضطراباتٍ في النوم تقضّ مضاجعهم،وتحرمهم لذّته إذن ؛ فإن حصول نعمة النوم ــ التي هي من آيات الله تبارك وتعالى ــ على صورتها الفضلى يتجلّى لمن اطمأن قلبه بمعرفة خالقه و قرّت عينه بطاعته

(١) رواه مسلم (٢٣٣٣) و روى البخاري طرفاً منه (٦٢٨١).

(٢)تهذيب اللغة (١٥ / ٧٥)،المحكم والمحيط الأعظم (١٠ / ١٦٥)، الفائق في غريب الحديث (٤ / ٩)، النهاية في غريب الأثر (٥ / ١٩٧) مرعاة المفاتيح (٧ / ٢٠٥).

(٣) المخصّص (٤ / ٢٧)،المحكم والمحيط الأعظم (٦ / ٤١٩)، غريب الحديث للحربي (٢ / ٣٥٠)، النهاية في غريب الأثر (٣ / ٩٢١).

ورضاه ، ولازم ذكر ربه عند هجعته و انتباهه ، وإن لم يملك من الفُرُش سوى حصير حقيرٍ أو بساطٍ من جلد .

و هذا الحبيب محمد ﷺ لم يكن لديه من متاع الدنيا إلا النزر اليسير و كان ينام من الليل حاجته و من النهار قيلولته ، مطمئن النفس ، هادئ البال ! بالرغم من معاناته قيادة الأمة و متاعب الدعوة و مشقة الجهاد و ألوان الأذى في سبيل الله تعالى .

و ما انشراح صدره ، وسكينة نفسه إلا بالله جلّ جلاله ؛ الذي عرف قدره وأكثر ذكره ، و عظّم دينه ، فطهّره و زكّاه ، و أرخى عليه أستار فضله وفيوض رحمته وعظيم نعمه .

❁❁❁

وكان حَمْدُ الله تعالى على نعمه من هديه ﷺ إذا أوى إلى فراشه ، فيحمده على رزقه الذي آتاه و فضله الذي أسداه ، و نصره له حين أعزه و آواه و رعاه و اصطفاه ، وكفايته من كل شر يخشاه .

ويذكر الله كثيراً و يثني عليه و يمجّده، و يدعوه و يستعيذ به من شر ما خلق من الدواب والخلائق و الصفات .

ومما يدعو به قوله ﷺ : « اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ » أي أجرني منه واحفظني « يَوْمَ تَجْمَعُ أَوْ تَبْعَثُ عِبَادَكَ » من القبور إلى النشور للحساب . (١)

و لما كان النوم في حكم الموت والاستيقاظ كالبعث ؛ دعا بهذا الدعاء متذكّرًا لتلك الحالة ، مع عصمته و علو مرتبته تواضعاً لله ، و إجلالاً له ، و تعليماً لأمته ، إذ يندب لهم التأسي به في الإتيان به عند النوم لاحتمال أن يكون هذا

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢ / ٤٦٤)، فيض القدير (٥ / ١٢٤).

آخر أعمارهم و أعمالهم ، مع الاعتراف بالتقصير في بابي الارتكاب والاجتناب الموجب للعذاب و العقاب . (١)

و منها عند نومه قوله ﷺ : « بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وَأَحْيَا» و عند يقظته : «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ».

قال ابن بطال (رحمه الله) : معنى ذكر الله عند الصباح ليكون مفتتح الأعمال وابتداؤها ذكر الله، وكذلك ذكر الله عند النوم ليختم عمله بذكره تعالى، فتكتب الحفظة في أول صحيفته عملا صالحًا وتختمها بمثله، فيرجى له مغفرة ما بين ذلك من ذنوبه. (٢)

وأما جمع كفيه ﷺ و النفث فيهما بالمعوذتين و الإخلاص و مسحهما على ما استطاع من جسده ثلاثاً ، فدليلٌ على عظم بركتها و فضلها، و الرُّقية بها ، و التعوّذ بالله تعالى الواحد الأحد رب الفلق و الناس من كل ما يخشى في النوم . (٣)

ولا ريب أن المواظبة على الأدعية المأثورة و الأذكار المأثورة في ختام اليوم والليلة يبث في النفس الراحة والطمأنينة والحفظ من تلاعب الشياطين ، والوقاية من الهوامّ والمخاطر ، وتضمن لمن مات أن تكون خاتمته على الفطرة إلى غيرها من الآثار الطيبة على حياة العبد ، وحسن خاتمته . (٤)

فحريٌّ بنا أن نعتني بهذه الأوراد الحصينة عند مبيتنا ، و نعلمها صغارنا ليألفوا ذكرها و ننال بها الأجر وطيّب الأثر .

---

(١) جمع الوسائل في شرح الشمائل (ص٧٤) حاشية السندي على ابن ماجه (٧ / ٢٥٨) مرعاة المفاتيح (٨ / ١٤٢).

(٢) شرح ابن بطال (١٩ / ١٢٠).

(٣) شرح ابن بطال (١٩ / ٣٣٢) ، تحفة الأحوذي (٨/ ٣٠٠)، مرعاة المفاتيح (٧ / ٢٠٥).

(٤) لمزيدٍ من الفائدة ، يراجع موسوعة الإعجاز النبوي في النوم ، للوقوف على الآثار الصحية المترتبة على الآداب النبوية في النوم.

وتنضمُّ إلى هذا الذِّكر الحميد ، الحالُ الطيبة التي يكون عليها الحبيب ﷺ عند نومه ، فكان من هديه ﷺ أن ينام طاهراً ، في بدنه وثيابه ، بل إن طهارة ثيابه ، و طيب رائحته لا تنفكُّ عنه سائر يومه و ليلته ؛ فهذا خادمه أنس بن مالك (رضي الله عنه) الذي لازمه زمناً طويلاً يفضّل رائحة النبي ﷺ على أجود أنواع الطيب من المسك والعنبر المعروفة آنذاك !

قال أعرابي :

والمِسكُ والعنبر خَيْرُ طِيبِ أُخِذَتَا بالثَّمَنِ الرَّغِيبِ [١]

المسك معروفٌ،والثاني:طيبٌ معمول من أخلاطٍ يجمعها الزعفران،وقيل هو الزعفران نفسه .[٢]

وكانت عَائِشَةَ (رضي الله عنها) تعلمُ حبَّ زوجهاﷺ للطيب فتتحبّبُ إليه بتطييبه بأفضل أنواعه ، قَالَتْ: « كُنْتُ أُطَيِّبُ النَّبِيَّ ﷺ بِأَطْيَبِ مَا يَجِدُ حَتَّى أَجِدَ وَبِيصَ الطِّيبِ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ »[٣] ، وكانت أمُّ سليمٍ (رضي الله عنها)و هي ذات قرابةٍ منه ، تجمع عرقه ﷺ إذا استنقع على الأديم المفروش تحته ليكون أطيب طيبٍ تنتفع بعطره الفواح ، و ترجو بركته لصبيانها !

و قد اطّلع النبي ﷺ على فعلها و صوّبه دلالةً على مشروعيته و طهارته كما أفاد قيلولته عندها لما فيه من ثبوت المودّة و تأكّد المحبة .[٤]

إن جمال المظهر و طهارة البدن وطيب الرائحة من محاسن الإسلام التي حثّ عليها ، و لها آثارها الطيّبة على الفرد و الأسرة و المجتمع .

---

(١) المخصص (٥ / ١٤٨).

(٢) فتح الباري (٦ / ٥٧٧)، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢ / ٨٩).

(٣) متفقٌ عليه ، رواه البخاري (٥٩٢٣) و مسلم (١١٩٢).

(٤) فتح الباري (١١ / ٧٢)

المبحث الثالث : وقفاتٌ مع شمائله الخُلُقية :

المطلب الأول : رفقه و رحمته بأمته ﷺ :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي أَوْ عَلَى النَّاسِ لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ ».(١)

و عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، قالَ: « مَا صَلَّيْتُ وَرَاءَ إِمَامٍ قَطُّ أَخَفَّ صَلَاةً وَلَا أَتَمَّ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَإِنْ كَانَ لَيَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَيُخَفِّفُ مَخَافَةَ أَنْ تُفْتَنَ أُمُّهُ ».(٢)

- و عَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)، قَالَتْ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: تُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ، فَمَا نُقَبِّلُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ ».(٣)
- و عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا): « أَنَّ ابْنَةً لِلنَّبِي ﷺ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ، وَهُوَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَسَعْدٌ وَأُبَيٌّ، نَحْسِبُ أَنَّ ابْنَتِي قَدْ حُضِرَتْ فَاشْهَدْنَا، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا السَّلَامَ، وَيَقُولُ إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَمَا أَعْطَى وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ مُسَمًّى، فَلْتَحْتَسِبْ وَلْتَصْبِرْ فَأَرْسَلَتْ تُقْسِمُ عَلَيْهِ، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ وَقُمْنَا فَرُفِعَ الصَّبِيُّ فِي حَجْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَنَفْسُهُ تَقَعْقَعُ، فَفَاضَتْ عَيْنَا النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: مَا هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: هَذِهِ رَحْمَةٌ وَضَعَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، وَلَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ إِلَّا الرُّحَمَاءَ ».(٤)

---

(١) متفقٌ عليه ، رواه البخاري (٨٨٧) و مسلم (٢٥٤).

(٢) متفقٌ عليه ، رواه البخاري (٧٠٨) و مسلم (٤٧٢) بلفظ :" إِنِّي لَأَدْخُلُ الصَّلَاةَ، أُرِيدُ إِطَالَتَهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأُخَفِّفُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ بِهِ ".

(٣)متفقٌ عليه ، رواه البخاري (٥٩٩٨) و مسلم (٢٣٢٠) بمثله .

(٤)متفقٌ عليه ، رواه البخاري (٥٦٥٥) و مسلم (٩٢٦).

غريب الحديث :

أَنْ تُفْتَنَ : الفتنةُ ؛ كَثُر استِعمالها فيما أخْرَجه الاخْتِبارُ لِلْمكْرُوه من عذابٍ و اضطرابٍ و نحوه و لها معانٍ أخر. (١)

تَقَعْقَعُ : أي تَضْطَرب وتتحرّك و لا تثبتُ على حالٍ. (٢)

❁❁❁

الحديث عن الرفق و الرحمة من أفق محمد ﷺ يغيث القلوب الجرداء وينعش النفوس الظمأى ، فقد تجاوز حدود الرفق و الرحمة في أمور الدنيا التي ألفها الناس ممن أُلهم هذه الصفة و عرف بها في حياته الزوجية والأسرية و الاجتماعية إلى مدىً أجلّ و أعظم .

إنها تتجلى حينما يبذل الحبيب ﷺ ما في وسعه و يعرض نفسه للمهالك و المخاطر من أجل هداية أمته وتبليغهم دين الله عز و جل برفق و رحمة لم تعرف البشرية لها مثيلاً !

مصداقاً لقوله تعالى : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (٣)

لقد ظل النبي ﷺ عقداً من الزمان يجاهد قومه في سبيل الله بالكلمة الطيبة و الموعظة المؤثرة و الأسوة الحسنة مصطبراً على بأسهم و أذاهم ، و لو شاء لأُطبق عليهم الأخشبين !

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم (٩ / ٥٠٢)، المعجم الوسيط (٢ / ٦٧٣)، النهاية في غريب الأثر (٣ / ٧٧٧).

(٢)المعجم الوسيط (٢ / ٧٥٠)،النهاية في غريب الأثر (٤ / ١٣٤)، غريب الحديث لابن الجوزي (٢ / ٢٥٦).

(٣) سورة الأنبياء ، الآية :١٠٧.

فلمّا فاؤوا إلى دين الله تعالى ترفّق بهم في بيان شرع الله و دعاهم إلى الاعتدال فيه ، و اختار لهم أيسر الأمرين مالم يكن إثماً ، ليعظم حبُّهم لله تعالى و يزداد إيمانهم به و تعلُّقهم بطاعته ، و لتؤتى فرائضه على وجهها .

ألا ترى كم يتخلّى الحبيب ﷺ عن استمراء أحبِّ الأمور إليه و أعزِّها لديه التي هي من جملة العبادة كالسِّواك عند كل وضوء مخافة المشقة على أمته !

فيقول بأبي هو و أمي : « لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي ! » مع ما في السواك من المنافع لهم !

كما قال ابن القيّم (رحمه الله):

متى استعمل السواك باعتدالٍ جلا الأسنان ، و قواها ، و أطلق اللسان ، و منع الحفر و طيّب النكهة و نقّى الدماغ و شهّى الطعام .[1]

ويصلي بالناس الجماعة فيحيا لذة العبادة بالوقوف و المناجاة لله رب العالمين ،تلك الصلاة التي هي راحته و قرّة عينه ، « فَيَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَيُخَفِّفُ مَخَافَةَ أَنْ تُفْتَنَ أُمُّهُ » رحمةً بها رعايةً لعاطفتها الفطرية تجاهه، و حمايةً لفريضتها من النقص في الخشوع حينما ينشغلُ فؤادها بشأن صبيِّها !

وفي أفياء السنة أحاديث متكاثرة تثبت جمال الرحمة الفطرية في قلب محمد ﷺ ، وهو يربي أصحابه عليها ، و يثني على صاحبها .

فيرحم الأطفال و يقبّلهم يمازحهم ، و تذرف عيناه لفراقهم بالموت لأنه أرقُّ الناس قلباً، وأبعدهم من الجزع .

فرقّة القلب رأفةٌ ورحمةٌ ، وجزعه مرضٌ وضعفٌ فالجزعُ حال قلبٍ مريض بالدنيا يجزع من أدنى ما يصيبه ولا يحتمله فإذا أشرق فيه نور الإيمان واليقين بالوعد ، وامتلأ من محبة الله وإجلاله رقَّ وصارت فيه الرأفة والرحمة ، فتراه رحيماً رفيق القلب بكل ذي قربى ومسلم يرحم النملة في جحـــرها والطير في

(١) زاد المعاد (٤ / ٢٩٣).

وكره ، فضلاً عن بني جنسه فهذا أقرب القلوب من الله تعالى .[1]

إن من فضل الله علينا و رحمته بنا أن زرع هذه الرحمة في قلوبنا نتراحم بها في الدنيا و نتواصل بها ،و نقيم العلاقات الأسرية.

ومن فضل الله علينا و رحمته بنا أن يجازي الرحماء من عباده بالرحمة المدّخرة لهم في الآخرة ، و هم أحوج ما يكونون إليها يوم تتلاشى الرحمة في أخصِّ أحوالها ، و أعظم مقاماتها من الأم التي تذهل عن وليدها لما تراه من أهوال القيامة !

إن سيرة نبينا محمد ﷺ و سنته تثبت لنا أنه المربي الرحيم اللطيف الرفيق ، الذي يترجم بقوله و عمله معنى وحقيقة هذا الخلق الجميل ،والفضيلة الآسرة .

❋❋❋

(١) الروح (ص ٢٥٠).

المطلب الثاني : حلمه و عفوه ﷺ :

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: « بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَقْسِمُ ذَاتَ يَوْمٍ قِسْمًا، فَقَالَ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ، قَالَ: وَيْلَكَ مَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، فَقَالَ عُمَرُ: ائْذَنْ لِي فَلْأَضْرِبْ عُنُقَهُ، قَالَ: لَا.. » الحديث. (١)

- و في روايةٍ قال : « أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً؟»، قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ، نَاشِزُ الْجَبْهَةِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، مُشَمَّرُ الْإِزَارِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اتَّقِ اللَّهَ، قَالَ: « وَيْلَكَ، أَوَلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ »، قَالَ: ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ، قَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا أَضْرِبُ عُنُقَهُ؟ قَالَ: « لَا، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي »، فَقَالَ خَالِدٌ: وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ، وَلَا أَشُقَّ بُطُونَهُمْ »(٢)

❁❁❁

الحلم و العفو طبعٌ عزيزٌ ، و خلقٌ آسر !

تتجلّى حقيقته في تلك المواقف التي يتجرأ فيها الآخر على إيذاء عرضك بالسبّ و الشتم ، أو انتقاص حقكِ أو التعرُّض لحياتك الخاصّة ، بأسلوب همجيٍ ، و ألفاظٍ غليظة ، و نبرةٍ حادّة ، فلا تواجهه إلا بخير ..!

ليست الأحلام في حال الرضى إنما الأحلام في حال الغضب(٣)

(١) متفقٌ عليه ، البخاري (٦١٦٣)، و مسلم (١٠٦٥)

(٢)متفقٌ عليه ، البخاري (٤٣٥١)، و مسلم (١٠٦٥)

(٣) أدب الدنيا و الدين (ص ٣١٤).

ولئن كان إيذاء العِرض و الشَّرف و انتقاصه جريمةً معظّمة ! فكيف بمن يتّهمُ إيمان نبيٍّ كريم ، و يشكّكُ في عدله و أمانته و هو المؤتمن على وحي الله في السماء !

إن توطينَ النفس على كظم الغيظ و الصبر عن الانتقام لها ، و تربيتها على العفو والصفح مع من يجهل عليها أمرٌ لا تخفى مشقّته ، لقوّةِ الداعي إلى الأخذ بالثأر ، والرغبة الجامحة للحميّة للذّات و استيفاء الحقوق .

و حين نتأمل حال النبي ﷺ المثقل بهم الدعوة ، و مسؤولية الرسالة ، و تلقّي الوحي ، و قيادة الأمة لتكون خير أمة أخرجت للناس ؛ نرى صفاء الحلم والعفو يتدفّق في قسمات وجهه المشرق ، و كلماته الرقيقة النّدية ليكون عَلَماً من معالم شخصيّته المعجزة .

يعترضُ له (ذو الخُوَيصِرَة)[1] بجفاءٍ وهو يقسم للناس حظّهم من المال ؛ فيناديه بفظاظة " يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ "!

وفي روايةٍ ؛ يقول بملء فمه " اتَّقِ الله " فلا تظلم في العطاء !

إنها كلمةٌ غايةٌ في الشناعة و الصَّلف في حق خير البرية ﷺ و أزكاهم عند الله تبارك وتعالى ، المؤتمن على وحيه ، وتبليغ رسالاته ، و بيان شرعه ، و حلاله وحرامه ، ، لأن مدار الرسالة على الأمانة [2] ، المخيّر حين نبوّته بين أن يكون ملكاً أو عبدًا فاختار العبودية ، أتغرّه لعاعة من متاع الدنيا فينقض عهده مع ربه ، ويجرح أمانته ، ويخالف رسالته و يهدم مبادئه !

(١) قال الذهبي و غيره ، هو : هُوَ حُرْقُوصُ بْنُ زُهَيْرٍ السَّعْدِيّ مِنْ سَعْدِ تَمِيمٍ ، رأس الخوارج قتل في الخوارج يوم النهر. عمدة القاري (٢٢ / ٣٠٦) ، الروض الأنف في شرح غريب السير (٤ / ٢٧٦).

(٢) حاشية السندي على النسائي (٥ / ٨٨) ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله):فَأَدَاءَ الْأَمَانَةِ فِي الْوَحْيِ أَعْظَمُ وَالْوَحْيُ الَّذِي أَوْجَبَ اللَّهُ طَاعَتَهُ هُوَ الْوَحْيُ بِحُكْمِهِ وَقَسْمِهِ .مجموع الفتاوى (١١ / ٣٤٠).

لقد كان لتلك الكلمات الجائرة صدى عنيف على سمع أصحاب رسول الله ﷺ ، فأشعلت فتيل الغضب في نفوسهم ، و تبادروا لقتله ، فما كان من الحبيب ﷺ إلا أن منعهم ذلك ! ، واكتفى بالتأنيب والعتاب المؤثر " و يحك "و في رواية :" ويلك ،من يطع الله إذا عصيت أيأمنني الله على أهل الأرض فلا تأمنونني ".و في رواية" أو لست أحق أهل الأرض أن أطيع الله"!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): فَالطَّاعِنُ فِي شَيْءٍ مِنْ حُكْمِهِ أَوْ قَسْمِهِ ﷺ- كَالْخَوَارِجِ – طَاعِنٌ في كِتَابِ اللَّهِ مُخَالِفٌ لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُفَارِقٌ لِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ [1]، ولو قال هذا القول أحدٌ في عصرنا هذا لوجب قتله بإجماع العلماء؛ لأنه حقٌّ بشري،حقٌ للنبي ﷺ، والنبي ﷺ في حياته أسقط حقه،ولكن بعد وفاته ﷺ لابد من إقامة الحدِّ عليه.[2]

وقال ابن حجر (رحمه الله): وإنما ترك النبي ﷺ قتل المذكور لأنه لم يكن أظهر ما يستدل به على ما وراءه فلو قتل من ظاهره الصلاح عند الناس قبل استحكام أمر الإسلام ورسوخه في القلوب لنفَّرهم عن الدخول في الإسلام ، وأما بعده ﷺ فلا يجوز ترك قتالهم إذا هم أظهروا رأيهم وتركوا الجماعة وخالفوا الأئمة مع القدرة على قتالهم.[3]

ويبلغ العفو منتهاه حينما دخل مكة . حرسها الله . بعد كفاحٍ طويلٍ و أذىً شديد في الدعوة و الجهاد في سبيل الله ، فقَالَ ﷺ :« مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَلْقَى السِّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ».[4]

---

(١) مجموع الفتاوى (١٩ / ٨٨).

(٢) شرح حديث الافتراق (ص ٥٠).

(٣) فتح الباري (١٢ / ٢٩١).

(٤) رواه مسلم (١٧٨٣).

يا له من صفح جميل ، و عفو بليغ ، مأمول من ذلك الرجل الكريم الذي هو أهله ، حيث يكون الصفح و الإعراض عن العقاب سائغاً .

و حين تنتهك حرمات الله تعالى ، فإنه يشتدّ غضباً لله حتى يُرى أثره على وجهه ، فلا يعفُو عن منكرٍ لا يرضاه الله سبحانه ، أو يحلم عن إقامة حدٍّ من حدوده.

تعفو بعدلٍ و تسطو إن سطوت به فلا عدمتك من عافٍ و منتقم[1]

وهذا هو التوجيه الشرعي الصحيح الذي نتعلمه من هدي النبي ﷺ للعواطف والمشاعر الثائرة ، فلا يكون فيها انتكاسة بحيث نغضب و نشتدّ غيضاً حميّة لأنفسنا ، و أنسابنا ، وأموالنا ، وديارنا ، ونكتفي بغضّ الطرف و زمّ الشفاه والحوقلة إذا انتهكت محارم الله سبحانه و استبيح حماه .

❁❁❁

(١) أدب الدنيا و الدين (ص ٢٢٣).

المطلب الثالث : تواضعه و خفض جناحه ﷺ.

عنْ أَنَسٍ: أَنَّ امْرَأَةً كَانَ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ، فَقَالَتْ: « يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً ،فَقَالَ: يَا أُمَّ فُلَانٍ، انْظُرِي أَيَّ السِّكَكِ شِئْتِ، حَتَّى أَقْضِيَ لَكِ حَاجَتَكِ، فَخَلَا مَعَهَا فِي بَعْضِ الطُّرُقِ، حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا ».[1]

- و عن أُمِّ خَالِدٍ بِنْتِ خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ، قَالَتْ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَعَ أَبِي وَعَلَيَّ قَمِيصٌ أَصْفَرُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « سَنَهْ سَنَهْ »، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَهِيَ بِالْحَبَشِيَّةِ حَسَنَةٌ، قَالَتْ: فَذَهَبْتُ أَلْعَبُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ فَزَبَرَنِي أَبِي، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « دَعْهَا »، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « أَبْلِي وَأَخْلِفِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِفِي، ثُمَّ أَبْلِي وَأَخْلِفِي »، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فَبَقِيَتْ حَتَّى ذَكَرَ.[2]

غريب الحديث :

السِّكَكِ : جمع سَكّة و هي : الطريقة المُصْطَفَّة من النخل وسمّيت بذلك لتضايقها في استواء

ومن هذا اشتقاق سكّة الدراهم، وهي الحديدة؛ لتضايُق رَسم كتابتها.[3]

فَزَبَرَنِي : الزَّبْر : الزَّجْر و زبره:انتهره ، لأنّ من زَبَرْتَه عن الغَيّ فقد أحكَمْتَه .[4]

❋❋❋

(١) رواه مسلم(٢٣٢٨)وعند البخاري (٥٢٣٤) زيادة :" فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنَّكُنَّ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ "

(٢) رواه البخاري (٣٠٧١)

(٣) معجم مقاييس اللغة (٣ / ٥٩)، لسان العرب (١٠ / ٤٣٩)، النهاية في غريب الحديث (٢/٢٨٤).

(٤)تهذيب اللغة (١٣ / ١٣٥)، لسان العرب (٤ / ٣١٥).

إذا شرُفت النفسُ كانت للآداب طالبةً ، وفي فضائل الأخلاق راغبةً ، فإن اقترن بها علوّ الهمّة في الإيمان، ونبلُ الهدف في ابتغاء رضوان الله والجنان ، كانت طيّبة الجنى ، وارفة الظّلال ، تؤتي أُكُلها كل حينٍ بإذن ربها ! يقتاتُ منها الصغير و الكبير ، و يستظلُّ بها القويُّ و الضعيف ، والغنيُّ والفقير.

لقد كان رسول الله ﷺ مع الناس تلك النفس الخيّرة ، آيةً في اللين و التواضع ، ومثلاً في السماحة

واللطف ، بالرَّغم من نفوذ سلطانه ، و جلالة قدره ، والانقياد لأمره ، وتوقيره ومهابته ، حتى باتت محبّته مقدّمة على النفس و الأهل والولد و المال والعشيرة ، كما أرادها الله سبحانه..!

توافيه تلك المرأة في بعض الطرقِ الضيّقة ، المصطفَّة بالنخيل، المسلوكةِ التي لا تنفك عن مرور الناس غالبًا[1]، و تسأله حاجتها .

وما ثمّ هذا السؤال لولا ما آنسته من الحبيب ﷺ من تمام التواضع و القرب من المستضعفين ، ولينه في أيديهم ومشيه في حوائجهم، وتشوُّقهِ إلى إرضائِهم وسماعِ شَكواهُم وقضاءِ شُؤونِهم .

فوسعها النبي ﷺ بعطفه و تواضعه المعروف ، ملبياً رغبتها بسخاوة نفسٍ وتقدير جمٍّ : « يَا أُمَّ فُلَانٍ ! انْظُرِي أَيَّ السِّكَكِ شِئْتِ حَتَّى أَقْضِيَ لَكِ حَاجَتَك »!

فللّه لينٌ ذاعَ في الناس صيتهُ ... و خفضُ جناحٍ كان دوماً به أهلُ
وأنسامُ لطفٌ تلك أنفاسهُ غدت ... هدايةَ محتاجٍ و من رامهُ جهـلُ [2]

(١) مشارق الأنوار (٢/٢٦٨)، فتح الباري (٩/٤١٦).

(٢) البيتان من قولي .

وتأتيه جارية صغيرة هي : أمَة (بمفتوحة وخفَّة ميم) بنت خالد بن سَعيْد بن العَاصِ ، تكنّى أم خالد [1]، و تقترب منه لترسم صورة أخرى رائعة من التواضع و العطف النبوي .

نرى فيها النَّبيَّ المربِّي ﷺ و هديه القويم في رعاية الأطفال، وقربه من الصِّغَار، وتلقِّيهم بالبِشْر وسهولة الخلق.. والرحابة ...

وشفقته على البنات خاصَّة..! ألا ترى إلى عظيم تقديره لأم خالد واصطفائها من سائر القوم و تشريفها بهديته بعدما سأل الحضور من أصحابه عمن يستحقها وسكتوا حيرة ، و استشرفوا لها وكانت تلك الجارية هي الجديرة بها «قَالَ : مَنْ تَرَوْنَ أَنْ نكْسُوَ هذه؟ فسكت القومُ، قَالَ: ائْتُوني بأمّ خالدٍ ».

إنه يدعوها بكنيتها زيادةً في إكرامها والاهتمام بها، وجيء بها تحمل في – رواية– لحداثة سنِّها – «فَأَخَذَ الخَمِيْصَةَ – وهي كساء من خزٍّ أو صوف – بيده الشريفة فألبسها » إياها.

وبالغ – عليه الصَّلاة والسلام – في العطف عليها والإحسان إليها والبر بها. «فَجَعَلَ يَمْسَحُ الأعلام – وهي ألوانها البارزة الصفراء أو الخضراء – بيده ويقول مادحًا لها مثنيًا على جمالها وروعتها هذا «سَنَهْ سَنَهْ » بمعنى حسن! وما قالها الحبيبُ ﷺ بالحبشيَّة ؟! وهو العربيُّ الفصيح إلا محاكاةً لُّلغة التي ألفتها منذ طفولتها ، وتطييبًا لخاطرها وطمعًا في إدخال السرور والبهجة إلى قلبها.

ويَسْتمرُّ الحنانُ النبويُّ الدافئ ليحكي مشهداً مؤثِّرا من اللطف الغامر بتلك الصبية ! دنت منه بعدما اطمأنّت لتواضعه ورحمته ، لفت نظرها خاتم النبوة البارز بين كتفيه فَتَاقَتْ نفسُها إلى لمسه فطفقت تلعب به، مما أثار حفيظة

(١) الاستيعاب (١٧٩٠/٤)، أسد الغابة (٣٢٥/٦)، الإصابة (٥٠٦/٧)، المغني في ضبط أسماء الرجال (ص٢٦).

والدها الذي نهرها بقسوة فنهاه النبي ﷺ وقال: «دعها» فاستمرت تلهو به مرحًا ، مستأنسة برضى النبي ﷺ مطمئنة إلى سماحته، ثم يختم اللقاء الطيب بدعواتٍ لها مباركةٍ يرددها ثلاثًا ويمتدُّ أثرها إلى أمد .

ذاك اللقاء بما يحويه من المعاني القيِّمة للتواضع و خفض الجناح ، يمثل أنموذجًا من الدروس التربوية التي لها أكبر الأثر في بناء الشخصية العاطفية وتربيتها على التواضع و دماثة الخلق على نحو أفضل.

❋❋❋

المطلب الرابع : كرمه و سخاؤه ﷺ :

عَنْ مُوسَى بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: « مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا، إِلَّا أَعْطَاهُ، قَالَ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ ».(١)

وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: « مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ،فَقَالَ: لَا ».(٢)

❁❁❁

لئن كان الكرم جامعاً لمكارم الأخلاق ، فإن النبي ﷺ الذي بعث ليتمم مكارم الأخلاق قد بلغ فيه منزلة الكمال و العظمة ، و قد شهد له ربه سبحانه بعظمة خلقه عموماً ، و بالكرم خاصةً ، فقال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (٣)

و قال سبحانه :﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ . ﴾ (٤)

وصفه في هذه الآية بالكرم خاصّةً دون غيره من الأخلاق العظيمة التي أثبتها له سبحانه إجمالاً في عظمة خلقه ، لأثر الكرم على سائرها ، و أنها مندرجةٌ تحته ، تابعةٌ له . (٥)

لقد مُنِحَ النبي ﷺ السخاء والجود حتى جاد بكل موجود ، و آثر غيره بكل مطلوبٍ و محبوبٍ ، و مات و درعه مرهونةٌ عند يهودي على آصعٍ من شعير !

(١) رواه مسلم (٢٣١٤).

(٢) متفق عليه ، رواه البخاري (٦٠٣٤) و مسلم (٢٣١٣).

(٣)سورة القلم ، الآية : ٤.

(٤)سورة الحاقة ، الآية : ٤٠.

(٥) ينظر في هذا الموضوع :أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة (٦٤٧/٢).

وقد حكم جزيرة العرب ، و كان فيها من قبلُ ملوكٌ لهم خزائن و أموال ، يقتنونها ذخراً و يتباهون بها فخراً ، و يستمتعون بها أشرًا و بطراً .

و حاز النبي ﷺ ملك جميعهم ، فما اقتنى ديناراً و لا درهماً ، يعطي الجزيل الخطير ، و يصل الجمّ الغفير ، و عنده غنائم هوازن و هي من السبي ستة آلاف رأس ، و من الإبل أربعة وعشرون ألف بعير ، ومن الغنم أربعون ألف شاة ، ومن الفضة أربعة آلاف أوقية ، فجاد بجميع حقه ، و عاد خلواً ، فهل لمثل هذا الكرم والجود كرماً و جوداً ! هيهات هيهات !. (١)

❁❁❁

كان سخاء النبي ﷺ مستفيضاً عند أصحابه ، نقلوه لنا حتى بلغ حدّ التواتر ،وتمّ لهذه الدلائل الخبرية شواهد عمليّة ثابتة في سائر أحواله تجلّي لنا حقيقة الكرم النبوي الفريد الذي لا يبارى في مضماره ، و لا يجارى في ميدانه، ولا يراد به الرياء و الشهرة والصيّت !

دهش لكرمه ذاك الرجل حين أتاه ، إذ فاق نوالُ النبي ﷺ كلَّ آماله التي عقدها على كرام الناس ، حين أعطاه الكريم ﷺ غنماً كثيراً بين جبلين ، لم يحسب عدد رؤوسها عليه !.

فلله هذا الجود بالخير الذي سبق الرياح المرسلة !

انبهر الرجل لسخائه العظيم و هرع لقومه فرحاً مستبشراً بهذا الرزق الواسع الذي غمره بلا أدنى عناء و هو يقول : يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة.!

إيهٍ و ربي ، أيخشى الفاقة من اتصل قلبه بمولاه تعالى ، و تعلّق فؤاده بمالك الملك جلّ جلاله ، فكان يقينه بما في يده سبحانه من خزائن السماوات

(١)أعلام النبوة للماوردي (ص٣٠٢).

والأرض ، أعظم مما بيده ، ورجاؤه بما لديه سبحانه من النعيم المقيم في الجنة أعلى و أغلى مما يراه من متاع الدنيا !.

لقد هانت عنده لذّة الدنيا و زينتها ، فأعطى و أهدى و تصدّق في و جوه الخير و البر ، و بلغ من كرمه أن لا يرد سائلاً ما طلبه ، بل يعطي تفضلاً بلا سؤال و لا يتبعه بالمنّ و الأذى ، عطاءً سمحت به نفسه ، و جادت به يمينه ،ورضيه بلا تردُّد ، ناسباً الفضل كلّه لله و حده وأنه مجرد قاسمٍ بين الناس حظوظهم .

تعوّد بسط الكف حتى لو أنه ثناها لقبض لم تجبه أنامله

هو البحر من أي النواحي أتيته فلجّته المعروف و الجود ساحله

و لو لم يكن في كفّه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله[1]

فلا تعجب أن كان نبينا محمد ﷺ جديراً بأن يحظى بمودّة الناس و إعجابهم ، و امتلاء قلوبهم من حبّه كما ملأ أيديهم من جوده ، قال صفوان (رضي الله عنه): والله لقد أعطاني رسول الله ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إلي فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي !.

وظلّ عطاؤه للمؤلفة قلوبهم في أول الأمر طمعاً في إسلامهم ، قَالَ أَنَسٌ(رضي الله عنه): " إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يُسْلِمُ حَتَّى يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا ". [2]

ومن هنا نرى أثر النيّة الصالحة في طرح البركة في العطاء ، و الهبة ، والصدقة ، كم تثمر من الآثار الطيبة ، و المعاني الخيّرة و الأجور المدّخرة التي لا تبلغها لولا الإخلاص لله تعالى ، و ابتغاء مرضاته .

---

(١) عزاه ابن رجب في لطائف المعارف (ص١٩٥) لبعض الشعراء يمدح بها ، قال : و ما تصلح إلا أن تكون لرسول الله ﷺ .

(٢) رواه مسلم (٢٣١٥).

و أما الكرم المعنوي فكان نبينا ﷺ أعجوبة التاريخ و أسطورة الدهر في بذل العلم و إسداء النصيحة و نفع الأمة و هدايتها و دعوتها إلى الله تعالى ، صلى الله عليه في الأولين و الآخرين .

❋❋❋

المطلب الخامس : حيـــاؤه و عفَّته ﷺ :

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ : « أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ ». (١)

- و عَنْ أَنَسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) يروي قصة زواج النبي ﷺ بزينب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْها)في بيته قال : « بَقِيَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَطَالُوا عَلَيْهِ الْحَدِيثَ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَحْيِي مِنْهُمْ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ شَيْئًا، فَخَرَجَ وَتَرَكَهُمْ فِي الْبَيْتِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عزّ وجلّ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ ﴾ (٢)(٣)
- و عنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ، أخبرت أنها : « جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَزُورُهُ وَهُوَ مُعْتَكِفٌ فِي الْمَسْجِدِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِبُ، فَقَامَ مَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى إِذَا بَلَغَ قَرِيبًا مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ عِنْدَ بَابِ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ مَرَّ بِهِمَا رَجُلَانِ مِنْ الْأَنْصَارِ فَسَلَّمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ نَفَذَا، فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:« عَلَى رِسْلِكُمَا »، قَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا

(١) متفقٌ عليه ، رواه البخاري (٦١٠٢) ، و مسلم (٢٣٢٣).

(٢) سورة الأحزاب ، من الآية :٥٣.

(٣) متفقٌ عليه ، رواه البخاري (٤٧٩١) بنحوه ، ومسلم (١٤٢٩) و اللفظ له .

رَسُولَ اللَّهِ وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ الْإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا ».[1]

❁❁❁

الْعَذْرَاءِ: الجَارِيةُ التي لم يمسَّها رجلٌ وهي البِكْر .[2]

الحياء غذاءُ الروح و حياة القلب ، كما أن الحيا و الغيث حياة الأرض و رواؤها ،وبهجتها.

وعلى حسب حياة القلب تكون قوّة خلق الحياء ، فكلّما كان القلب أحيا كان الحياء أتم ، و قلّة الحياء من موت القلب و الروح[3] .

ولمّا كان الحياء بهذه المنزلة العظيمة من حياة الإيمان في القلب ، واقترانه به و دوامه فيه ، كان النبي ﷺ أعظم هذه الأمة حياءً ، شهد له ربه سبحانه بهذه الصفة الكريمة في محكم تنزيله فقال : ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ﴾[4]

ومن تأمّل هذه الأحاديث الثابتة رأى كثرة حياء النبي ﷺ ، و أنه كان جامعاً بين نوعي الحياء الغريزي والمكتسب.

ففي الغريزي كان أشد من العذراء في خدرها ، و أما المكتسب فقد كان في الذروة العليا منه و مع ذلك فهو أشد الناس بأساً في أمر الله.[5]

---

(١) متفقٌ عليه ، رواه البخاري (٣١٠١)، و مسلم (٢١٧٧).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٤ / ٢٥٦)، المخصص (١ / ٣٣٥)، النهاية (٣ / ٤٢٤).

(٣) ينظر: مدارج السالكين (٢/٢٥٩) ، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٧ / ٢٤).

(٤) سورة الأحزاب ، من الآية :٥٣.

(٥) المفهم (١ / ١٣٦)،فتح الباري (١٠ / ٥٢٢)، سبل السلام (٤ / ٢٠٦)، الفصول في سيرة الرسول (١ / ١١٦).

وشبّه شدة حيائه ﷺ بالعذراء في سترها ؛ لأنها إذا كانت متربِّية في خدرها تكون أشدَّ حياءً لتستُّرها حتى عن النساء ، بخلاف ما إذا كانت في غير بيتها لاختلاطها مع غيرها أو كانت داخلةً خارجةً فيقلّ نصيبها منه مع بقاء أصله ، وتُعرف كراهيته لأمرٍ بتغيّرٍ في وجهه كالغيم على النيرين لغاية حيائه لا يصرّح كالعذراء غالباً التي تستحي في حضور الناس من الكلام و يُرى أثر رضاها وكراهتها في وجهها . (١)

وقيل شبّه بها ؛ لأنها في الخلوة يشتد حياؤها أكثر لأنه مظنّة الفعل بها . (٢)

وكلا النوعين الغريزي و المكتسب محمودٌ ، مطلوبٌ، وسبب لزيادة الإيمان لأنه يكون تخلُّقاً واكتساباً كسائر أعمال البر وقد يكون غريزةً ولكن استعماله على قانون الشرع يحتاج إلى اكتسابٍ ونيةٍ وعلمٍ فهو من الإيمان ، ولكونه باعثاً على أفعال البر ومانعاً من المعاصي وُ معِفّاً من الفواحش ، وكشف العورات ، و ناهياً عن المنكرات ، فلا يأتي منه إلا خير . (٣)

فحقيقة الحياء إذن ؛ انقباض النفس عن القبيح من الأقوال والأفعال والأخلاق ، و التقصير في حقّ ذي الحقّ ، و رقَّة تعترى وجه الإنسان عند فعل ما يتوقَّع كراهيته أو ما يكون تركه خيراً من فعله والإغضاء عما يكره الإنسان بطبيعته. (٤)

(١) جمع الوسائل في شرح الشمائل (ص٢١٧)، الشمائل الشريفة (ص ١٩١).

(٢)فتح الباري (٦ / ٥٧٧)،التيسير بشرح الجامع الصغير (٢ / ٤٤٨).

(٣) ينظر: شرح النووي(٢/٥)،فتح الباري (٥٢٢/١٠) ، أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة (٤٨٥/١).
قال ابن بطال (رحمه الله) :من استحيا من الناس أن يروه يأتي الفجور ويرتكب المحارم، فذلك داعية له إلى أن يكون أشد حياء من ربه وخالقه، ومن استحيا من ربه فإن حياءه زاجر له عن تضييع فرائضه وركوب معاصيه ، لأن كل ذي فطرة صحيحة يعلم أن الله تعالى النافع له والضار والرزاق والمحيي والمميت،فإذا علم ذلك فينبغي له أن يستحي منه عزَّ وجل.شرح ابن بطال (١٧ / ٣٦٦).

(٤)الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١ / ١١٨)،دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٥ / ١٦٨)، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١ / ٤٢٨).

وقد يُفْرِطُ الحياءُ على بعضِ الناس ، حتَّى يمنعَهُ ذلك من القيامِ بحقِّ الله تعالى من الأمرِ بالمعروفِ وتغييرِ المنكر ، ويحملَهُ على المداهنة في الحَقِّ،وكلُّ ذلك حياءٌ مذمومٌ شرعًا وطبعًا يحرُمُ استعمالُهُ ، ويجب الانكفافُ عنه ؛فإنَّ ذلك الحياءَ أحقُّ باسم الجُبْنِ والخَوَر ،وأَوْلَى منه باسمِ الحياءِ والخَفَر . (١)

لقد ترجمت لنا سيرته العطرة حقيقة ذلك الحياء الكامل المرضي، و تمكّنه من خلقه و سلوكه العملي ، في مواقف شتى منها زواجه من زينب بنت جحش (رضي الله عنها).

فقد كان ﷺ حديث عهدٍ بأهله ، و الأضياف في بيته قد حضروا وليمته ، و طعموا حتى شبعوا ، و ظلّوا مستأنسين بالحديث في غفلةٍ عن حال النبي ﷺ و تكدّره من طول بقائهم ، و هو يستحي أن يواجههم بأمر الخروج من بيته ، و الانفراد بعروسه !

حمله الحياء على أن يترك أخصّ حقوق نفسه في ليلة البناء بأهله و الشوق إليهم ، و تحمّل مشقة الحرج من أصحابه الذين أكرمهم بضيافته ، و التناول من مائدته ، على أن يصارحهم بما يجول في خاطره و ما يعتمل في نفسه إيثاراً للحياء و حرصاً على توفير الراحة و الانبساط لهم .

فتولّى الرحمن سبحانه أمره ، و رفع عنه ما أهمّه ، و أنزل قرآنا يتلى إلى يوم القيامة يصدع بما للنبي ﷺ من الحقّ العظيم من الاحترام و التوقير و الآداب المتعينة له على أصحابه وأمته .

و يدعونا في الوقت نفسه إلى الاقتداء به و التحلي بهذا الخلق الفاضل ، فمن استحيا من الله سبحانه حق الحياء رأى نعمه و آلاءه ، و استشعر إساءته وتقصيره ، و بادر بالخيرات و ترك المنكرات ، و من استحيا من

(١) المفهم (١ / ١٣٦)، فتح الباري (١٠ / ٥٢٢).

نفسه عفّها و صانها في الخلوات ، و من استحيا من الناس كف أذاه عنهم و ترك المجاهرة بالقبيح و السيئات .[١]

و مما روته لنا سنته الشريفة من عظم عفّته و مروءته ، موقفه مع زوجه صفيّة (رضي الله عنها) و قوله لصاحبيه :« عَلَى رِسْلِكُمَا »، و في رواية متّفق عليها : « إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ »!

إشفاقاً منه على أمته و رحمةً بهم و صيانةً لقلوبهم ، وخشيةً من ظنّهم به شيئاً فيهلكوا ، فظنُّ السوء بالأنبياء كفرٌ بالإجماع .[٢]

قَالَا: "سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا ذَلِكَ "!

لأنه ﷺ منزّهٌ عندهم من مواضع التُّهم ، عفيفٌ عن الرِّيَب ، نقيٌّ من الظنون المنكرة .[٣]

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ الْإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا» .

فعل ذلك ﷺ – بأبي هو وأمي – ليسنَّ لأمته البعد من مواضع التهم ، ومواقف الشكّ ، و التحرُّز من التَّعرض لسوء ظنِّ الناس وطلب السلامة والاعتذار بالأعذار الصحيحة ، وأنه متى فعل ما قد يُنْكَرُ ظاهره مما هو حقٌّ وقد يخفى أن يبيِّن حاله ليدفع ظنَّ السوءِ.[٤]

---

(١) ينظر : أدب الدنيا والدين ، للماوردي (ص ٢٤٣).

(٢) إكمال المعلم (٧ / ٣٠)، شرح النووي (١٤ / ١٥٦).

(٣) ينظر : شرح ابن بطال (٧ / ٢٠٥).

(٤) شرح ابن بطال (١٥ / ٢٦٦)، شرح النووي (١٤ / ١٥٦).

المطلب السادس : أمانته و وفاؤه ﷺ:

عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ مَوْلَاهُ (السائب بن أبي السائب)، أَنَّهُ حَدَّثَهُ: أَنَّهُ كَانَ فِيمَنْ يَبْنِي الْكَعْبَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، قَالَ: فَبَنَيْنَا حَتَّى بَلَغْنَا مَوْضِعَ الْحَجَرِ، وَمَا يَرَى الْحَجَرَ أَحَدٌ، فَإِذَا هُوَ وَسْطَ حِجَارَتِنَا مِثْلَ رَأْسِ الرَّجُلِ يَكَادُ يَتَرَاءَى مِنْهُ وَجْهُ الرَّجُلِ، فَقَالَ بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ: نَحْنُ نَضَعُهُ، وَقَالَ آخَرُونَ: نَحْنُ نَضَعُهُ، فَقَالُوا: اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ حَكَمًا، قَالُوا: أَوَّلَ رَجُلٍ يَطْلُعُ مِنَ الْفَجِّ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالُوا: أَتَاكُمْ الْأَمِينُ، فَقَالُوا لَهُ: « فَوَضَعَهُ فِي ثَوْبٍ، ثُمَّ دَعَا بُطُونَهُمْ، فَأَخَذُوا بِنَوَاحِيهِ مَعَهُ، فَوَضَعَهُ هُوَ ﷺ ». (١)

- **عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ – في قسمة النبي ﷺ ذُهَيْبَةً بين أربعةٍ من أصحابه – فَقَالَ: « أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً؟..» الحديث** (٢)**و في روايةٍ : « فَيَأْمَنُنِي عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا تَأْمَنُونِي .. ».الحديث .** (٣)

❋❋❋

لئن كان خلق الأمانة و الوفاء عظيماً في سائر الناس لما له من الأثر الكبير في صلاح أمر الدنيا و الدين ، فإنه في أنبياء الله تعالى و رسله

(١) رواه أحمد (١٥٠٧٨)قال : حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ يَعْنِي أَبَا زَيْدٍ، حَدَّثَنَا هِلَالٌ يَعْنِي ابْنَ خَبَّابٍ، عنه به ، و رواه الحاكم (١/ ٤٥٨) و ابن قانع في معجم الصحابة (٦٥٠) و الطحاوي في مشكل الآثار (٥٥٩٦)من طريق هِلَالٍ به بلفظه .

قال الحاكم : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وَلَهُ شَاهِدٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِه.

(٢) سبق تخريجه في الصحيح .

(٣) متفقٌ عليها ، رواها البخاري (٧٤٣٢) ، و مسلم (١٠٦٤).

أعظم ، و في حقِّهم أوجب و ألزم ، فطرهم الله و ربَّاهم عليها ليتمكّنوا من تبليغ رسالاته إلى خلقه ، و كان نبينا محمد ﷺ في الذروة العليا من هذه الأخلاق و السجايا الكريمة ، و كماله فيها فاق كلَّ كمال .

لقد نشأ يتيماً مطبوعاً على الأمانة و الوفاء بالعهد ، فلا يكاد يعرف في قومه إلا بالأمين،بل هو أوفاهم عهداً وأعظمهم أمانةً،يقولون:جاء الأمين،وذهب الأمين، وحلَّ في نفوسهم وقلوبهم أعلى منازل الثقة والرضى! (١)

كما دلّ على ذلك احتكامهم إليه في الجاهلية في قصَّة رفع الحجر الأسود عند بناء الكعبة المشرفة ، بعد تنازعهم في استحقاق شرف رفعه و وضعه في محلّه أياماً ، حتى كادوا يقتتلون لولا اتفاقهم على تحكيم أول داخل يدخل المسجد الحرام ، فكان هو محمد ﷺ فلما رأوه قالوا :" أَتَاكُمْ الْأَمِينُ ، هذا الأمين ،رضينا هذا محمد"،وكانوا يتحاكمون إليه في الجاهلية قبل الإسلام.(٢)

وبلغ من ثقتهم الكبيرة في أمانته و وفائه ما اعتادوا عليه من حفظ أموالهم ونفائس مدّخراتهم لتكون وديعة عنده ، و لم يزل هذا شأنهم حتى بعد معاداته بسبب نبوّته و دعوتهم إلى الإيمان و نبذ عبادة الأوثان ، فلم يخالجهم الشكُّ في أمانته و وفائه مع محاربتهم له، وتصميمهم على قتله!

ومما يدلُّ على ذلك ترك النبي ﷺ عليَّ بن أبي طالب (رضي الله عنه) بمكة بعد هجرته ﷺ ليردَّ للناس ودائعهم التي كانت عنده ، حتى إذا فرغ منها

(١) ينظر : الرحيق المختوم (ص ٤٨)، أخلاق النبي ﷺ للدكتور أحمد الحداد (٢/٥٣٨- ٥٧٤) نقلتها باختصار .

(٢) السيرة النبوية لابن كثير (١ / ٢٨٠)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١ / ١٣٤)، سيرة ابن هشام (١/٢٨) ، طبقات ابن سعد (١/١٤٦) .

لحق برسول الله ﷺ ، و لم ينسها الأمين ﷺ أو يفرّط فيها رغم الظروف الشديدة و المخاطر الكثيرة التي اكتنفت هجرته. (١)

ولقد تحقَّق ذلك الخلق العظيم بأتمّ معانيه ، و أحسن مراميه بعد نبوّته ﷺ وتلقّي وحي ربنا تبارك و تعالى ؛ لأن الله تعالى أراده خاتماً لأنبيائه و رسله إلى الناس كافة ، و لا يُمَكَّنُ من ذلك إلا أمينٌ كامل الأمانة ، يحفظ كلمات الله و يؤدِّيها ، و يحظى بثقةِ الناس فيستجيبون له و يؤمنون به .

صدع نبينا ﷺ بشرع الله عزَّ وجلَّ كما أراده ربه سبحانه ، و بلّغ آياته فلم يكتم منها حرفاً و إن كان عتاباً له و لوماً ، و شهد له الله عزَّ وجلَّ في كتابه بهذا البلاغ الكامل حتى تمّ الدين ، و ظهر الإسلام ، قال تعالى : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (٢)

وإن من المواقف العظيمة في أمانته ﷺ عَنْ سَعْدٍ، قَالَ: « لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ أَمَّنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ إِلَّا أَرْبَعَةَ نَفَرٍ وَامْرَأَتَيْنِ وَسَمَّاهُمْ، وَابْنُ أَبِي سَرْحٍ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ قَالَ: وَأَمَّا ابْنُ أَبِي سَرْحٍ فَإِنَّهُ اخْتَبَأَ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ فَلَمَّا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ جَاءَ بِهِ حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ بَايِعْ عَبْدَ اللَّهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثَلَاثًا كُلُّ ذَلِكَ يَأْبَى فَبَايَعَهُ بَعْدَ ثَلَاثٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَى هَذَا حَيْثُ رَآنِي كَفَفْتُ يَدِي عَنْ بَيْعَتِهِ فَيَقْتُلُهُ؟ فَقَالُوا: مَا نَدْرِي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا فِي نَفْسِكَ أَلَا أَوْمَأْتَ إِلَيْنَا بِعَيْنِكَ ، قَالَ: إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ ». (٣)

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/٢٣٧) ، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (١ / ٤٣٠).

(٢) سورة المائدة ، من الآية : ٣.

(٣) رواه أبو داود (٢٦٨٣) قال: حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْمُفَضَّلِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَسْبَاطُ بْنُ نَصْرٍ، قَالَ زَعَمَ السُّدِّيُّ، عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ سَعْدٍ، به . =

و خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ : هِيَ الْإِيمَاء إِلَى مُبَاح من ضربٍ أَو قتلٍ عَلَى خلاف مَا يظهر ويشعر بِهِ الحَال ، وَإِنَّمَا قيل لَهُ خَائِنَة الْأَعْين ؛ لِأَنَّهُ يشبه الْخِيَانَة من حَيْثُ أَنه يخْفَى و يسرق أنظار الحاضرين. (١)

فلم يُرِد النبي ﷺ أن تمسّ كرامة أمانته العظيمة و لو بلحظٍ عاجلٍ في أمرٍ يستحقّه !

و أما الوفاء فله منزلةٌ عظيمةٌ في أخلاق النبي ﷺ ، فكان أوفى الناس مع ربِّه تبارك و تعالى ، و مع أصحابه و أزواجه و ذويه ، بل و أعدائه ! .

و من أروع المواقف النبوية التي تتجسَّد فيها هذه السجيَّة الفاضلة ؛ و فاؤهُ لحاطب بن أبي بلتعة (رضي الله عنه) مع فعلته الكبرى و هي إفشاؤه لسرِّ النبي ﷺ في أشد المواقف خطورة ، موقف الغزو الذي لا تغفر البشرية لمثله ! لأنه تجسُّسٌ و خيانةٌ عظمى .

فقد كتب حاطب إلى أهل مكة يخبرهم بمقدم رسول الله ﷺ إليهم بجيشه لفتح مكة ،وأرسل كتابه خُفْيةً مع ظعينةٍ له ، فلما أطلع الله تعالى نبيه ﷺ على ذلك و مكّنه من إحباطه ، راوده بعض أصحابه على ضرب عنقه ، قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، قَالَ ﷺ : « إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ » . (٢)

= و رواه النسائي (٤٠٦٧) والحاكم (٣ / ٤٢) والمقدسي في المختارة (٩٧٧) و البزار في كشف الأستار (١٨١٦) و أبو يعلى (٧٥٧)و ابن أبي شيبة (٣٧٩١٠) من طريق : أَحْمَد بْن الْمُفَضَّلِ به مرفوعاً ،و سياق بعضهم أتمُّ من بعضٍ .

قال الحاكم : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ . و وافقه الذهبي .

وقال ابن حجر : إسناده صالحٌ . التلخيص الحبير (٣ / ٢٧٧)، و قال ابن الملقّن : هَذَا الحَدِيث صَحِيح . البدر المنير(٧/٤٤٩)، وقال البوصيري : رجاله ثقاتٌ . إتحاف الخيرة المهرة (٥ / ٩١)

(١) جامع الأصول (٨ / ٣٧٦)، البدر المنير (٧ / ٤٥٠).

(٢) متفقٌ عليه ، رواه البخاري (٣٠٠٧) و مسلم (٢٤٩٧).

وقوله : « اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ » المراد منه ؛ إظهار العناية بهم لا الترخيص لهم في كلِّ فعلٍ ، أو الخطاب لقومٍ منهم علم أنهم لا يقارفون ذنباً وإن قارفوه لم يصرُّوا عليه .[1]

فانظر إلى مبلغِ وفائهِ لصاحبه البدريّ! و إن عظُمَت زلّته التي لم يأتِ مثلها من قبل ، ما دامت في غير حدٍّ من حدود الله سبحانه أو إرادةِ الإضرار برسوله ﷺ.

لقد قابله الحبيب ﷺ ، و سمع منه ، و صدّقه ، و ترك عقوبته مع قدرته عليه ، و نهى عن مكالمته إلا بخير ، حتى اغرورقت عيناه لهذا الوفاء المترامي و الرَّحمة الغامرة !

قَالَ ﷺ: « صَدَقَ، لَا تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا، قَالَ: فَعَادَ عُمَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، دَعْنِي فَلِأَضْرِبْ عُنُقَهُ، قَالَ: أَوَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ أَوْجَبْتُ لَكُمُ الْجَنَّةَ، فَاغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ »[2]

وهكذا كانت شمائل النبي ﷺ حقائق عملية في مواقف الحياة المتنوعة ، تربِّي النفوس وتهذِّبها على معاني الفضيلة ، و تغرس في القلوب روائع الإيمان بالله عزّ وجلّ.

❋❋❋

(١)إكمال المعلم (٧ / ٢٧١)، التيسير بشرح الجامع الصغير (١ / ٤٩٥).

(٢) رواه البخاري (٦٩٣٩).

المطلب السابع: صدقه ومروءته ﷺ :

قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ، لَمْ يُصَدَّقْ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ مَا صُدِّقْتُ، وَإِنَّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيًّا، مَا يُصَدِّقُهُ مِنْ أُمَّتِهِ، إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ ».(١)

- و قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) :" حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ".(٢)
- وقال أَبو هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) :" سَمِعْتُ الصَّادِقَ الْمَصْدُوق "ﷺ.(٣)

❋❋❋

إذا كان الصِّدق خلقاً تدعو إليه الفطرة و تحبّذه ،ولو لم يكن هناك شرع يدعو إليه ويرغِّبه،فإن كل ذي فطرة نقيّة وعقلٍ سليمٍ يلتزمه على كل أحواله. وقد اشتهر بعض أشراف العرب بذلك قبل الإسلام لأغراض دنيوية ، واعتبارات اجتماعية ، فإذا عُلِم من أحدهم كذباً سقط من أعينهم ، وانتزعت الثّقة منه ، وباء بخسارة تجارته وانتقاص منزلته ، لقبحه عندهم، فالكذب مهجورٌ في كل أمة ، ومعيبٌ في كلِّ ملَّةٍ .(٤)

بيد أن محمداً ﷺ قد لازم الصِّدق و المروءة بأبهى صورها منذ بزوغ نجمه ، و نعومة أظفاره ، واطّراد شبابه ، محبةً له و قناعةً بقيمته و حسن عاقبته ، فما كان يُعْرَف في قومه إلا بالصَّادق الأمين و لمّا يوحَ إليه بعد!.(٥)

---

(١) رواه مسلم (١٩٨).

(٢) رواه البخاري (٣٢٠٧) ، و مسلم (٢٦٤٥).

(٣) رواه البخاري (٣٢٠٧) ، و مسلم (٢٦٤٥).

(٤) ينظر : شرح ابن بطال (١ / ٤٥)، شرح النووي (١٢ / ١٠٤).

(٥) ينظر :أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة (١/ ٤١٢).

وحينما اختاره ربه تبارك وتعالى لتبليغ رسالته ، و بيان شريعته ، كان رسوخُ الصِّدق في شمائله عظيماً ، و الداعي إليه كبيراً ، حيث كان من دلائل نبوته، وأمارات اصطفائه ، صحّة دعوته .

يؤكِّد ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ (١)

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ ﴾ (٢)

فكانت رسالته هي الصِّدق كلُّه و الحقُّ عينه ، و يستحيل أن ينحرف لسانه أو يتطرَّق إلى منطقه و سلوكه حرف زور أو جور ، و لذا فإن تنزيه النبي ﷺ عن آفة الكذب عمداً أو سهواً واجبٌ بالدليل الشرعي ، والعقلي ، و البرهان السابغ و الإجماع فلا يقول في الغضب والرِّضا إلا حقاً. (٣)

إن رسالة النبي ﷺ الثابتة ، رسالةٌ دائمة على ممرِّ الزمان ، و يستحيل عقلاً وواقعاً تواتر العمل بها و استقرارها من غير مقوِّماتٍ راسخةٍ و دعائم متينةٍ من الصّدق الذي لا تحريف فيه ، و لا كذب في نقل أخباره و بيان آثاره .

فالثبات و الاستمرارية يتطلبان ضرورة و جود العصمة في نقل الأخبار حتى تتلقَّاه الأمَّة ، و يستقرَّ تعلّقه في الذمّة . (٤)

---

(١) سورة النجم ، الآيتان :(٣- ٤).

(٢) سورة النساء ، من الآية : ١٧٠.

(٣) قال ابن كثير(رحمه الله) :فالنبي ﷺ معصوم في أقواله و أفعاله ، لا يجوز عليه التعمد ، و لا الخطأ الذي يتعلق بأداء الرسالة و لا يقرّ فيبقى عليه.

الفصول في سيرة الرسول ﷺ (١ / ١٣٤)، و ينظر : أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب (ص ٢٩)، الخصائص الكبرى للسيوطي (٢ / ٣٨٤).

(٤) قال القاضي عياض (رحمه الله):

أما أقواله ﷺ فقامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه، وأجمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الأخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به، لا قصداً وعمداً، ولا سهواً وغلطاً. =

ومعلومٌ قطعاً أنه لم يُصدَّق نبيٌّ من الأنبياء من أولهم إلى آخرهم ولم يتبعه من الأمم ؛ ما صُدِّق محمَّد بن عبد الله ﷺ ، والذين اتبعوه من الأمم لا يحصيهم إلا الله سبحانه ،قد بلغوا مشارق الأرض ومغاربها على اختلاف طبائعهم وألوانهم ولغاتهم وبلدانهم و هم أعقل الأمم وأكملها في جميع خصال الفضل، وهذه الأمم الغفيرة الممتدّة في حِقَب التاريخ لا يمكن أن تتواطأ وتثبت على غير الحقِّ. (١)

ولقد كانت هيئة النبي ﷺ و قسماته النيّرة شاهداً على مبلغ مكانته من الصدق ، في الجد و الهزل ، و القول و الفعل ، وأنه الصادق المصدّق ، كما كان من الحبر عبد الله بن سلام (رضي الله عنه) الذي ما إن رأى النبي ﷺ حتى استيقن صدقه و عرف أن وجهه ليس بكذاب ، و أعلن إسلامه و تبرَّأ من كيد اليهود و تكذيبها و عنادها .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، قَالَ: « لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ فَلَمَّا اسْتَثْبَتُّ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ .. » الحديث. (٢)

= أما تعمّد الخلف في ذلك فمنتف، بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله فيما قال اتفاقاً، وبإطباق أهل الملة إجماعاً.

المفهم (١٩ / ٨٦) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١١ / ٤٦٣).

و ينظر :شمائل المصطفى ﷺ (ص٤٨٠).

(١) ينظر : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (ص ١٤) .

(٢) رواه الترمذي (٢٤٨٥) قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، وَابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، وَيَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ عَوْفِ بْنِ أَبِي جَمِيلَةَ الْأَعْرَابِيِّ، عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَوْفَى، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ ، به . =

وأجاد عبد الله بن رواحة حين قال :

لو لم تكن فيه آيات مُبيِّنة كانت بديهته تنبيك بالخبر [1]

وكانت شهادة زوجه خديجة (رضي الله عنها) في أوائل نبوته و بدء نزول الوحي عليه . بالصدق المعهود و المروءة التامة من دلائل اصطفاء الله له ، وبشائر إرادة الخير له ،و حفظه من كل سوء ، قالت : « أَبْشِرْ، فَوَ اللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، فَوَ اللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ».[2]

فهذه شهادة من خَبَرَ أخلاقه ، و سَبَرَ أحواله ، و عرف سيرته و لا ينبئك مثل خبير .

وتلكم شهادات ابن مسعودٍ و أبي هريرة (رضي الله عنهما) ممن أكثر الرواية عنه و ملازمته .

قال الكاتب المستشرق الإنجليزي (Heg Wells) : "إن من أرفع الأدلة على صدق محمد(ﷺ) كون أهله و أقرب الناس إليه يؤمنون به ، فقد كانوا مطَّلعين على أسراره ، و لو شكُّوا في صدقه لما آمنوا به ".[3]

= و رواه : ابن ماجه (١٣٣٤) و أحمد (٢٣٢٧١) و الدارمي (١٤٦٠) و الحاكم (٣ /٩) و المقدسي (٣٢٥٠) و البيهقي في الكبرى (٥٠١/٢) و الطبراني في الكبرى (٢١١٦٨) من طريق : عَوْفِ بْنِ أَبِي جَمِيلَةَ به .

قال الترمذي : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ ، و قال الحاكم : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ، و وافقه الذهبي ، و صحَّحه الألباني ، صحيح الترغيب و الترهيب (٦١٢).

(١) أخلاق النبي ﷺ في القرآن و السنة (٤٢٢/١) .

(٢) متفقٌ عليه ، رواه البخاري (٤٩٥٤) و مسلم (١٦٢).

(٣) الإسلام و الرسول ﷺ في نظر منصفي الشرق والغرب (ص ١٣٢).

المطلب الثامن: عدله و إنصافه ﷺ :

عَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالَ: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَأَيْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا ». (١)

- **و عنها(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْسِمُ فَيَعْدِلُ، وَيَقُولُ: « اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِي فِيمَا أَمْلِكُ، فَلَا تَلُمْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ ». قال أَبُو دَاوُدَ: يَعْنِي الْقَلْبَ .** (٢)

---

(١) متفقٌ عليه ، رواه البخاري (٣٤٧٥) و مسلم (١٦٩٠).

(٢) رواه أبو داود (٢١٣٤) قال : حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ الْخَطْمِيِّ، عَنْ عَائِشَةَ مرفوعاً .

و رواه : الترمذي (١١٤٠) و النسائي (٣٩٤٣) و قال أرسله حمَّاد ، و ابن ماجه (١٩٧١) و أحمد (٢٤٥٨٦) و ابن حبان (٤٢٠٥) و الحاكم في مستدركه (٢/ ١٨٧) و البيهقي في الكبرى (٧/ ٢٩٧) من طريق حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ ، به ، مرفوعاً .

و قال الحاكم : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ، و قال الترمذي : رَوَاهُ حَمَّادُ ابْنُ زَيْدٍ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ مُرْسَلًا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «كَانَ يَقْسِمُ » وَهَذَا أَصَحُّ مِنْ حَدِيثِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ .

الحديث رواه الأربعة وصححه ابن حبان والحاكم و ابن الملقّن ، ولكن رجَّح الترمذي و النسائي إرساله و قال أبو زرعة : لا أعلم أحداً تابع حَمَّادَ بْنَ سَلَمَةَ على وَصلِهِ، وهو الصواب .

البدر المنير (٧ / ٤٨١) ،التلخيص الحبير (٣ / ٢٩٥) الدراية (٢ / ٦٦).

• وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو (رَضِيَ اللَّهُ عَنْه) ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عزَّ وَجَلَّ وَ كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا ».[1]

غريب الحديث :

الْمُقْسِطِينَ : أقْسَط يُقْسِط فهو مُقْسِط إذا عَدَل في القسمة والحكم ، وقَسَط يَقْسِط فهو قاسِط إذا جارَ ، و القِسْطُ المِيزانُ سمي به من القِسْطِ العَدْلِ .[2]

❋❋❋

العدلُ مطلبٌ إيماني مقدّسٌ ، و خلقٌ رباني نفيسٌ ، كيف لا و قد أنزله المولى سبحانه على رسله قريناً للكتاب الذي يهدي الناس للتي هي أقوم توحيده و عبادته !

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾[3]

إنه أساس الدين ! و به قامت السماوات و الأرضين ، و بُعثت الرسل ، وأُنزلت الكتب ، و صلحت الحياة ، و شرفت الآخرة ، ونُصبت الموازين ،و ثبتت فضيلة القرب من الربِّ تعالى يوم الدين .

(١) رواه مسلم (٣٤١٢).

(٢) لسان العرب (٧/ ٣٧٧)، المعجم الوسيط (٢ / ٧٣٤)، النهاية في غريب الأثر (٤ / ٩٣).

(٣) سورة الحديد ، من الآية : ٢٥.

والإسلام دين العدالة ، و أمته الأمة الوسطية ، التي اختار الله لها نبيها محمدًا ﷺ المصطفى على الناس برسالات الله ، خير من تعبّد اللهَ تعالى بالعدلِ و الإحسانِ في القول و الحكم و المعاملة ، مع النفس و الناس ، القريب و الغريب ، مع ما تهيأ له من أسباب القوّة و النفوذ و السُّلطة ! .

وإن موقفاً واحداً من بطولات عدله ﷺ لينطق بمعانٍ غزيرة من الإنصاف يعجز عنها البيان و يكلّ عندها الوصف !

ذلكم موقفه ﷺ مع امرأة شريفة النسب في قومها ، انتهكت حدًّا من حدودِ الله سبحانه ، وشفع فيها حِبّه وابن حبّه أسامة بن زيد (رَضي الله عنْه) ليضع عنها الحدّ و يعفو عن إقامته !

فغضِب النبي ﷺ لطلبه الشفاعة في أمرٍ قضاه الله تعالى بالعدل ، كيف يجرؤ أحدٌ على العبث به لاعتبارات شخصيّة !

و هبَّ خطيباً بين أصحابه ، مُعاتباً لهم و مُحذِّراً مما حلّ بالأمم السابقة من الهلاك حين فرَّطوا في إقامة الحدود بالعدل ، فمن ترك ذلك من الأئمة لأجل قريبٍ أو شريفٍ أو هوىً ؛ فقد خالف سنُة رسول الله ﷺ ورغب عن اتّباع سبيله. (١)

قال تعالى :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾(٢) و امتثل النبيُّ ﷺ أمر ربّه تعالى في خاصّة أهله و بضعة فؤاده ، مقسِماً بالله سبحانه : « وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا ».!

فالناسُ جميعاً في ميزان الله سبحانه سواءٌ لا فضل لأحدٍ إلا بالتقوى .

(١) شرح ابن بطال (١٥ / ٤٤٢).

(٢) سورة النساء ، من الآية :١٣٥.

لقد عاش النبي ﷺ حقيقة العدل في حياته كلها بجملتها و تفاصيلها ، حتى أشفق على نفسه من تسرُّبِ الجور بسببٍ لا حيلة له في دفعه ! عندما يميلُ القلب إلى بعض الزوجات فيعجز عن قسمة الحبّ بينهن بالعدل كما قسم الأمور الأخرى الممكنة !

فقال معتذراً لربّه : « اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِي فِيمَا أَمْلِكُ، فَلَا تَلُمْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ »!

« هَذَا قَسْمِي فِيمَا أَمْلِكُ » مبالغةً في التحرِّي بين نسائه لأنه كان أعدل الناس بين نسائه في كل ما يجب لهنَّ عليه ، إذ أوجب العدل بينهن في القوت والإدام واللباس على قدرهن وكفايتهن، ويقسم لكلِّ واحدةٍ يومًا وليلة، فيبيت عندها، سواءً كانت حائضًا أو طاهرًا .(١)

« فَلَا تَلُمْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ »!

قال ابن حبيب (رحمه الله): ولما كان القلب لا يُمْلَك ولا يُستطاع العدل فيه وضعَ الله عن عباده الحرج في ذلك. (٢)

لقد كان النبي ﷺ قوّاماً بالعدل بل يتعداه إلى الفضل و الإحسان و يرغِّب أصحابه و أمته بفضله ليكونوا أهلاً لمحبته و القرب منه تعالى : ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾(٣)

يحب المقسطين ... الذين يقربهم من جلاله يوم العرض الأكبر و يشرّفهم بدنوّه منهم ، و يجلسهم على منابر من نور !

---

(١) معالم السنن للخطابي (٣ / ٢١٨)، شرح ابن بطال (١٣ / ٣٤١)، فتح الباري (٩ / ٣١٣)، الاستذكار (٣ / ٣٣٠)، التيسير بشرح الجامع الصغير (٢ / ٥٤٧).

(٢) شرح ابن بطال (١٣ / ٣٤١).

(٣) سورة المائدة ، من الآية :٤٢.

قال ﷺ « إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عزّ وجلّ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا ».[1]

❁❁❁

« مَنَابِرَ » .. ليست مقاعد و لا كراسي .. بل منابر عالية يبرزون عليها رِفعةً لهم و عِزّة ، على هيئة من الجمال و الجلال ، مكافأةً لهم كما رفعوا الحقّ و أعلوه و حكموا به في الدنيا ، معرضين عن هتافات الهوى ودواعي النفس الأمّارة بالسوء .

« مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ »..تضئ بهم زيادةً في تشريفهم و نعيمهم لتراهم الخلائق كلّها! و ختامُ ذلك الفضل العظيم الدنوُّ من الربِّ جلّ جلاله ، و أكرم به من نعيمٍ و شرف كبيرٍ !

« عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عزّ وجلّ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ » ما أعظمك ربنا و أكرمك ، و ما أوسع فضلك و أبلغ ثوابك !

و ما أحرانا أن نتحلى بهذا الخلق العظيم مع أنفسنا و أهلينا و ما ولينا .

❁❁❁

(١) رواه مسلم (٣٤١٢).

المطلب التاسع: شجاعته و جهاده ﷺ :

• عَنْ أَنَسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَزَا خَيْبَرَ، فَصَلَّيْنَا عِنْدَهَا صَلَاةَ الْغَدَاةِ بِغَلَسٍ، فَرَكِبَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ وَرَكِبَ أَبُو طَلْحَةَ وَأَنَا رَدِيفُ أَبِي طَلْحَةَ، فَأَجْرَى نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فِي زُقَاقِ خَيْبَرَ، وَإِنَّ رُكْبَتِي لَتَمَسُّ فَخِذَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ حَسَرَ الْإِزَارَ عَنْ فَخِذِهِ حَتَّى إِنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ فَخِذِ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا دَخَلَ الْقَرْيَةَ، قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ، قَالَهَا ثَلَاثًا، قَالَ: وَخَرَجَ الْقَوْمُ إِلَى أَعْمَالِهِمْ، فَقَالُوا: مُحَمَّدٌ، قَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ: وَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا وَالْخَمِيسُ يَعْنِي الْجَيْشَ، قَالَ: فَأَصَبْنَاهَا عَنْوَةً فَجُمِعَ السَّبْيُ ..». (١)

• عن العَبَّاس بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يذكرُ غزوة حنين قال :« فَلَمَّا الْتَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكُفَّارُ وَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الْكُفَّارِ، قَالَ عَبَّاسٌ: وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَنْ لَا تُسْرِعَ، وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ » و فيه : « فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ كَالْمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَذَا حِينَ حَمِيَ الْوَطِيسُ، قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَصَيَاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الْكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ: انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى ، قَالَ: فَوَ اللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلًا وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا ». (٢)

❁❁❁

(١) متفقٌ عليه ، رواه البخاري (٣٧١) ، و مسلم (١٨٠٢). (٢) رواه مسلم (١٧٧٦).

غريب الحديث :

عَنْوَةً : العَنْوَةُ في كلام العرب لها معنيان متضادَّان ؛قال أبو العباس ثعلب : يقال أخذت الشيء عنوة أي قهراً في عنف ، وأخذته عنوةً أي صلحاً في رفقٍ ، و المراد هنا أخذها بالقهر والإذلال غلبة.(١)

رِكَابِ :السَّرْج ،يوضع على الرَّحل من حديدٍ أَو خشبٍ ،والجمع: رُكُبٌ.(٢)

حَمِيَ الْوَطِيسُ : التَّنُّور فيه حجارةٌ مدوَّرةٌ إذا حَمَت لم يقدر أحدٌ أن يطأ عليها.وهو كنايةٌ عن شِدّة الأمرِ واضْطِرام الحَرْب التي يشبه حرُّها حرَّه ، ويقال إنّ هذه الكلمة أوّلُ من قالها النبي ﷺ لمَّا اشتدّ البَأسُ يومئذ ولم تُسْمَع قَبْله وهي أحْسن الاسْتِعارات.(٣)

حَدَّهُمْ كَلِيلًا: أي ضعيفاً نابياً ، يقالُ:كلَّ السيف كلًّا إذا نبا عن الضَّربة ، وضُرِب مثلاً لضعف أمرهم وانحلال شدَّتهم .(٤)

❁❁❁

(١)كتاب العين (٢ / ٢٥٢)، تهذيب اللغة (٣ / ١٣٣)، غريب الحديث للخطابي (١ / ٥٧٩)، غريب الحديث لابن سلام (٢ / ١٨٧) شرح النووي (١٢ / ١٦٤) .

قال ابن القيم (رحمه الله) : ومن تأمَّل السِّير والمغازي حقَّ التَّأمل، تبيَّن له أن خيبر إنما فُتحت عنوةً، وأن رسول الله ﷺ استولى على أرضها كلّها بالسيف . زاد المعاد (٣/٣٢٧).

(٢)كتاب العين (٥ / ٣٦٤)، تهذيب اللغة (١٠ / ١٢٥)، لسان العرب (٥ / ٣٨٦).

(٣) المخصّص (٣ / ١٦٩)، النهاية في غريب الأثر (١ / ١٠٥٥)، الديباج على مسلم (٤ / ٣٨٥).

(٤) لسان العرب (١١ / ٥٩٠)،النهاية في غريب الأثر (٤ / ٣٥٣)، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (ص ١٨١).

لقد امتاز الأنبياء والرسل عليهم الصلاة و السلام بعزيمةٍ قويةٍ ، و شجاعةٍ نادرةٍ ، لكمالِ إيمانهم ، و قوَّةِ يقينهم بالله ، و صدقِهم معه تبارك وتعالى ، ورغبتهم في الشهادة ، و في لقاء الله تعالى ، ولم يثبت قطُّ عن واحدٍ منهم أنه فرَّ ، أو انهزم . (١)

و بلغ نبينا محمدٌ ﷺ المنتهى في هذه الأوصاف ، من الشجاعة الأدبية والقتالية ، فكان ثابت الجنان ، قويَّ الحجَّة ، بليغ البيان عند مخاطبة أهل الكفر و الطغيان ، لا يخاف في الله لومة لائم ، و لا يخشى في الله سطوة جائر ، دعا إلى التوحيد و صدع بالحقّ سراً و جهراً ، في مجتمعٍ ماديٍّ مغمورٍ بالجهل و الضَّلالات ، و الأحقاد و الثارات ، و ظلّ مِقداماً شُجاعاً في مقارعة الأعداء و الصّبر على اللأواء .

حضر المعارك الحاسمة ، و الغزوات الطاحنة ، التي بلغت سبعاً و عشرين ، بدءاً بغزوة (بواط) و انتهاءً (بتبوك)، فثبت كالطّود العظيم ، شامخاً مقداماً في أشدِّ أوقات المحن و الفتن ، و كان الأبطال المبرَّزون يتترَّسون به من ضربِ السيوف و رمي السِّهام ، وهو أقربُ المقاتلين إلى العدوِّ يواجههم و يقاتلهم ثابتَ القدم ، رابط الجأش ، مطمئنَّ القلب (٢) .

غزا يهودَ بغلسٍ و صلّى « عِنْدَهَا صَلَاةَ الْغَدَاةِ » مصبّحهم لما في البكور من البركة و النجاح ، و لما في التبيين من استجلاء الذرية و النساء و حمايتهم أن يصابوا من غير قصدٍ ، رحمةً بهم . (٣)

« فَأَجْرَى نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فِي زُقَاقِ خَيْبَرَ » منطلِقاً في مسالكها الضيّقة ، كالسَّهم الصائب ، مقبلاً عليهم في مواطنهم ، واثقاً بنصر الله و تمكينه

(١) المفهم (١١ / ١٢٦).

(٢) ينظر : شمائل المصطفى ﷺ (ص١٢٣).

(٣) ينظر : التمهيد (٢ / ٢١٥)، الاستذكار (٥ / ١٢٨).

مكبّراً ، داعياً و مخبراً ، « اللَّهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ » مردِّدها ثلاثاً لتبلُغ الآفاق !

وهذا من الفأل الحسن ، المتّصل بالتكبير الطّارد لشياطين الجنّ التي تقارنهم ، فإذا انهزمت شياطينهم المقترنة بهم انهزموا ، فقاتلهم ببسالةٍ و غلبهم و أذلّهم و غنمَ منهم و أصاب السَّبي . (١)

وظلّت شجاعته ﷺ في الصورة المثلى التي لا يدانيه في مثلها أحدٌ من الشُّجعان ، مما يجعل نواصي الأبطال في تاريخ البشرية تتواضع لشجاعته و إقدامه إكباراً له و تبجيلاً .!

ففي غزوة حُنَين حينما حميَ الوطيس و أنشبت الحرب أظفارها « وَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ »، و ظلّ نبينا ﷺ و حده البطلَ المغوار مع زمرةٍ صَامدةٍ ، منطلِقاً « يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الْكُفَّارِ » لا يهاب الموت و لا يخشى القتل ، مندفعاً مسرعاً لمواجهتهم و قصفهم بسيفه ، حتى أشفق أصحابه عليه !

فإذا العَبَّاس (رضي الله عنه) لاحقٌ به « آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ » ليكُفُّهَا « إِرَادَةَ أَنْ لَا تُسْرِعَ » ، وذاك أَبُو سُفْيَانَ « آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ » ليبطّئه ! وهو ﷺ – بأبي و أمي – « عَلَى بَغْلَتِهِ كَالْمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ » يستشرف مواضعهم و يأخذ حَصَيَاتٍ يرمي بهنّ وجوهَهم و هو يتوعَّدهم « انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ»! فما خلق اللّه إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً (٢) .

فلا ترى « بعدئذٍ حَدَّهُمْ إلا كَلِيلًا وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا » ضعيفاً منحلّاً !

---

(١) ينظر : شرح ابن بطال (٤ / ١٦٦)،إكمال المعلم (٤ / ٣٠٤) فتح الباري لابن رجب (٣ / ٤٤٠)، تحفة الأحوذي (٤ / ٢٠٧) تنوير الحوالك (١ / ٣١٢).

(٢) عيون الاثر في فنون المغازي والشمائل والسير (٢ / ٢١٨)،الرحيق المختوم (ص٤٧٩).

قال القرطبي (رحمه الله):

فيه ثبوت النبي ﷺ وتوجهه نحو الكفار ، بل كان يَرْكُض بغلته نحوهم ، ولما غشِيَه القوم ، نزلَ عن البغلة ، وثبت لهم قائمًا ، حتى تراجع الناس إليه عند نداء العبَّاس ، ولم يُسْمَع لأحدٍ من الشُّجعان مثلُ ثباته ﷺ. (١)

يجول في أرض المعركة منكشفاً و فلولٌ ممن معه انهزمت عنه إلى الغنائم ، و هو ثابتٌ لم يفرّ و لم يفقد صوابه ، يصدح بقوله :« أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِب أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِب »(٢) ليكون هذا الموقف العظيم المعجز آيةً على نبوّته إذ لا تطيقه الطبيعة البشرية. (٣)

وقفتَ ومافي الموت شكٌ لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمـرُّ بك الأبطـال كلمـى هزيمة ووجهك وضاحٌ وثغـرك بـاسم(٤)

هذا التّميز الفريد سوّغ له أن يكون مأموراً بقتال المشركين إذا واجهوه و لو كان وحده ، لكمال شجاعته (٥)، كما قوله تعالى :﴿فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ (٦)

لقد كان محمدٌ ﷺ شجاعاً في رحمة ، و جريئاً صنديداً في الحقِّ ، بطلاً في تواضعٍ و حكمةٍ !

---

(١) المفهم (١١ / ١٢٦).

(٢) متفقٌ عليه ، رواه البخاري (٢٨٦٤) و مسلم (١٧٧٧).

(٣) ينظر : إتحاف القاري (٥ / ٥٩) شرح الترمذي للشنقيطي (٦٦/٩).

(٤) أبيات من قصيدة أبي الطَّيب المتنبي .

(٥) ينظر : تفسير ابن كثير (٥٣٠/١) و تفسير القرطبي (٥/ ٩٠) و أخلاق النبي في الكتاب و السنة (١٣٤٣/٣).

(٦) سورة النساء ، من الآية ٨٤.

على عكس ما قد يحصل لكل شجاعٍ مغوارٍ مغترٍّ ببطولته ، طاغٍ في قوّته و نفوذه و جبروته .

«وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ، فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَاجِعًا، وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ، عُرْيٍ فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ، وَهُوَ يَقُولُ: لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا، قَالَ: وَجَدْنَاهُ بَحْرًا » (١)

فحين لاح نذيرُ خوفٍ أذعرَ الناس ، و أفزع القلوب ، كان النبيّ محمداً ﷺ أول من انطلق قِبَل الداعي ، يسبق الفرسان الشجعان بفرسٍ لأبي طلحة ليسرع به إلى مراده ، و لفرط شجاعته و سرعة نجدته لم ينتبه لسرج فرسه و لم يكترث بعريّه منه !

ويمضي ﷺ مستطلعاً الأمر ، مستجلياً الحقيقة ، على دابةٍ غدت كالبحر في سرعة مدّه ، و تقلُّب أمواجه ، فإذا الصَّوت المفزع ضربٌ من المعتاد من الحيوان أو الجماد .

فانقلب الحبيب ﷺ إلى الناس يطمئنهم و يبشرهم بالأمان بقوله « لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا » !

يقف وحده في الميدان و مواجهة الأخطار ، و يردُّهم عن الخروج في طلب أثر الصوت لئلا يشقّ عليهم النفير إليه !

فيا لله ..!

أيُّ قوة تفتق منها هذا الرفق ، و أي بأس اقترن به ذلك الحرص على الناس قبل النفس .

❁❁❁

(١) سبق تخريجه في الصحيح ، في مطلب : سلاحه ﷺ .

المطلب العاشر: صبره و تضحيته ﷺ :

عنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي بِفِنَاءِ الْكَعْبَةِ إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، فَأَخَذَ بِمَنْكِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَوَى ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ، فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقًا شَدِيدًا، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ بِمَنْكِبِهِ، وَدَفَعَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ :﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾[1]» .[2]

- وأَنَّ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ : هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟، قَالَ: « لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ، وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ، فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا » .[3]

❁❁❁

(١) سورة غافر ، من الآية ٢٨.

(٢) رواه البخاري (٤٨١٥).

(٣) متفقٌ عليه ، رواه البخاري (٣٢٣١) و مسلم (١٧٩٧).

غريب الحديث :

منْكِب : مَنْكِبُ الإنسان مُجْتَمَع رأسِ الكَتِف ورَأسِ العَضُد ، و هو اسمٌ للعُضْو. (١)

قَرْن الثَّعَالِب : جمع ثعلب و هو قَرْن المنازل موضعٌ يُحْرِمُ منه أَهلُ نجدٍ ، تلقاء مكّة على يوم وليلة منها و عن الطائف ستة وأربعين كيلاً. (٢)

الأَخْشَبَيْن : هما الجَبَلاَنِ المُطِيفَان بمكَّة و هي بينهما ، أبو قُبَيْس والأَحْمَرُ ، والأخشبُ كُلُّ جبلٍ خَشِنٍ غليظ الحجارة لا يُرْتَقَى فيه. (٣)

❁❁❁

نبينا محمد ﷺ أكثر الرسل دعوةً و بلاغاً و جهاداً ، و من ثمّ كان أكثرهم ابتلاءً و إيذاءً و أعداءً ، بل كان الابتلاء حليفه منذ ولادته يتيماً فاقداً أباه ثم أمَّه متنقلاً من حضنٍ إلى حضنٍ ، تكلؤه عناية الله ، و تحوطه مبرَّته ، حتى أشرقت شمس الدعوة إلى الله تعالى ، وحينها اشتد الأذى بالنبي ﷺ ، و لاقى من قومه و عشيرته و قرابته ما تشيب منه النواصي ، و يزلزل الجبال الرواسي !

(١) المخصّص (١ / ١٣٥)، تاج العروس (١ / ١١٥)، النهاية في غريب الأثر (٥ / ٢٣٥).

(٢) لسان العرب (١٣ / ٣٣١)، النهاية في غريب الأثر (٤ / ٨١)، معجم البلدان (٤ / ٣٣٢)، معجم ما استعجم (٣ / ١٠٦٧) للاستزادة يطالع بحث : تحقيق المطالب بمكان قرن الثعالب ، د / عمر بن غرامة العمروي.

(٣) تهذيب اللغة (٧ / ٤٤)، النهاية في غريب الأثر (٢ / ٨٦)، غريب الحديث لابن الجوزي (١ / ٢٧٨).

لقد نصبوا له العداء ، فرموه بكلِّ ما قدروا أن يرموه به من السحر والكهانة والشعر والجنون ، و غير ذلك مما تآمروا على التفوُّه به زوراً و بهتاناً ، و هو البراء من ذلك كلِّه ، فلازم الصبر الجميل الذي دعاه ربه إليه، وأعانه عليه ،وكفاه شرهم ، كما في قوله: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾[1]

ومعلومٌ أن شريفَ القدر ، عظيمَ الهمّة ، كريمَ المعدن ، يؤلمه تجرُّع ذلك الأذى المعنوي فوق الحسّي ؛ لأن قول الزور و البهتان ينزل على مسامعه و قلبه كالصَّواعق ، فتهدُّ كيانه ، و تشعل فؤاده ، حيث يعلم براءة نفسه ، و عزَّة أصله ، و صدق منطقه ، و نصحه لقومه ، و إرادة الخير لهم ، وهو بما يمتلكه من إحساسٍ مرهفٍ ، و رقةِ مشاعرٍ ، يضيقُ صدره بما يقولون ، لا سيما من قومه و قرابته الذين يعرفون أمانته و صدقه كما يعرفون أنفسهم و أبناءهم.!

وظلمُ ذوي القربى أشدُّ مضاضةً على النَّفس من وقع الحسام المهنَّد[2]

وتمادى طغيانهم و إهانتهم و عبثهم ...فبالغوا في إيذائه ﷺ حسياً و معنوياً معاً . بأبي هو و أمي ﷺ فأخذ أشقاهم بتلابيب ثوبه حتى جثى على ركبتيه ، و لوى عنقه بالثوب حتى خنقه خنقاً شديداً ، و وضع سلا جزورٍ و فرثه و دمه بين كتفيه « فَضَحِكُوا حَتَّى مَالَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ مِنَ الضَّحِكِ ، فَانْطَلَقَ مُنْطَلِقٌ إِلَى فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَام وَهِيَ جُوَيْرِيَةٌ فَأَقْبَلَتْ تَسْعَى، وَثَبَتَ النَّبِيُّ ﷺ سَاجِدًا، حَتَّى أَلْقَتْهُ عَنْهُ وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَسُبُّهُمْ ».[3]

ورُمِيَ ﷺ بالحجارة حتى أُدميت قدماه ، و شُقّ وجهه حتى تضمَّخ بالدِّماء ، ودُبِّر قتلهُ في مكيدةٍ عظيمةٍ .

(١) سورة الحجر ، الآية :٩٥.

(٢) من قصيدة طَرَفة بن العَبْد البَكْرِي .

(٣) متفقٌ عليه ، سقتُ بعضه ، رواه البخاري (٥٢٠) و مسلم (١٧٩٥).

وخرج إلى الطائف بعد وفاة عمّه أبي طالب ، مَاشِيًا عَلَى قَدَمَيْهِ من مكة ، ليعرض نفسه على ساداتها و كبرائها مستنصراً بهم في الدعوة إلى الله ، فأعرضوا عنه ، و ردُّوا عليه أقبح ردٍّ .[1]

فخرج منهم طريداً مهموماً حائراً يمضي حيث حملته قدماه ! حتى بلغ قَرْن الثعالب و قطع في مسيره ما يزيد على أربعين كيلاً دون أن يشعر !

حتى أتى ظلَّ شجرةٍ صلَّى فيه ركعتين ، و ناجى ربّه بهذه الكلمات الحرّى ، و الدعوات الغرّاء التي أجهش بها : « اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفِي وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي، إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي، أَمْ إِلَى قَرِيبٍ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ سَاخِطًا عَلَيَّ فَلا أُبَالِي، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِكَ، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الْكَرِيمِ الَّذِي أَضَاءَتْ لَهُ السَّمَوَاتُ، وَأَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيَّ غَضَبُكَ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سَخَطُكَ ».[2]

---

(١) ينظر : فتح الباري (٦ / ٣١٥).

(٢) رواه المقدسي في المختارة (٣٠٣٩) بإسنادين ،أحدهما؛ قال: أَخْبَرَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الصَّيْدَلانِيُّ ، أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ عَبْدِ اللَّهِ أَخْبَرَتْهُمْ، أنبأنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رِيذَةَ، قَالا: أنبأنا سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ الطَّبَرَانِيُّ، حدثنا أَبُو صَالِحٍ الْقَاسِمُ بْنُ اللَّيْثِ الرَّاسِبِيُّ، حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي صَفْوَانَ الثَّقَفِيُّ، حدثنا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، به ، مرفوعاً .

و رواه الطبراني في الدعاء (١٠٣٦) قال: حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ بْنُ اللَّيْثِ أَبُو صَالِحٍ الرَّسْعَنِيُّ و هو الصّواب ، و ابن عدي في تاريخ دمشق (١٥٢/٤٩) و ابن عدي في الكامل (٧ /٢٦٩) من طريق : مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ به بمثله . قال الهيثمي :رواه الطبراني وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد (٥ / ٤٥٦) و إسناده حسن .

يدعو مولاه سبحانه و يشكو إليه ضعفه و قلّة حيلته ، و هوانه على النَّاس ، مناشداً ربَّ المستضعفين ، مستعيذاً بنور وجهه الذي أشرقت له الظُّلمات أن ينزل به غضبه، أو يحل به سخطه!

فيرسل له ربه عزّ و جلّ ملك الجبال ليستأمره أن يطبقها على مكذّبيه إن شاء ، فيجيبه بصبرٍ عظيم ، و رحمةٍ مترامية « بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»!

فعجباً ثم عجباً لصبرِه الجميل و تحمله الذي عزّ عن المثيل !

صبرٌ ... يستحيل العذاب معه إلى لذّة مناجاةٍ ، و قربٍ من مولاه .

صبرٌ ... يرتقب من زواياه الضيقة و آلامه المبرِّحة أفقاً رحباً و أملاً ممتدّاً لأمة خيّرة توحّد الله و تعظِّم حرماته و تحقِّق شريعته .

❁❁❁

الخـاتمـة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، و الصلاة والسلام على خاتم الرسل والرسالات ، نبينا محمد و على آله و صحبه و من اهتدى بسنته وسلم تسليما كثيرا ، وبعد :

فقد تمتعنا في رحاب الشمائل النبوية بنسمات عليلة و لمحات جليلة من صفات نبينا ﷺ ، الخَلْقية و الخُلُقية ، تلك الشخصية العظيمة الفريدة المعجزة في حياة البشرية بما حملته من وحي الكتاب و السنة!

المعجزة ... بما بلغت من الكمالات الإنسانية و الأخلاق الكريمة والآداب الجمّة !

المعجزة .. بحب المؤمنين لها والشوق إليها وفدائها بالنفس و المال والولد!

المعجزة ... بطموحها و علوّ همتها و قوة عزيمتها و سموّ رسالتها !

المعجزة ...بنجاحها و منجزاتها و أثرها الكبير على الأمة !

المعجزة ... بمآلها و ما بشّرت به من نعيمٍ أبدي و ملكٍ عظيمٍ و شرفٍ لا يبلغه أحد سواها !

هذه الشخصية العظيمة و السيرة المجيدة التي ربّاها الحكيم الخبير ، وصاغها القرآن الكريم ستظلّ خالدةً ، محفوظةً في السنة و القرآن ، ظاهرةً للعيان و إن توارى الجثمان، لتكون للأمة آية ، و منار صلاح و هداية ، حتى يرث الله الأرض و من عليها .

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (١)

﴿لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ نقتدي بها في حياتنا و تعاملاتنا و عبادتنا وأخلاقنا و علاقاتنا ، فليست شمائلُه الكريمة و سيرتُه العطرة محفوظةً مدوّنةً في آيات القرآن الكريم و قبسات السنة الشريفة متوارثةً متنقّلةً عبر التاريخ بآلاف

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٢١.

من المصنّفات و الشروح و المختصرات لنستمتع بعرض عجائبها و تتبّع حقائقها دون وعيٍ وبصيرةٍ و اقتداءٍ عملي نرى آثاره الطيبة في أنفسنا و حياتنا!

فـ ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ فهو أعظم الناس انتفاعاً واقتداءً وحظاً بنبينا محمد ﷺ،لأن الاقتداء به أساسٌ من أسس العبودية التي ينبغي أن يكون عليها من كان يرجو رضوان اللّه والحصول على ولايته والفوز يوم القيامة. (١)

ذكر ابن كثير والقرطبي (رحمهما الله)و غيرهما ؛ أن هذه الآية في عتاب المتخلّفين عن القتال في غزوة الخندق ؛ أما كان لكم قدوةٌ في النبي ﷺ حيث بذل نفسه لنصرة دين الله ، و أرخصها في الصبر و المرابطة و الجهاد وانتظاره الفرج من ربه عزَّ وجل ، هلّا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله في جميع أفعاله ، وتعزّيتم به في سائر أحواله! (٢)

وتالله .. إنها لعتابٌ لكلّ من خبر سنته ﷺ الشريفة ، و عرف سيرته العظيمة ، وشمائله الكريمة من أمته ثم تخلّف عن تعلّمها و الاقتداء بها و العمل بها والذبّ عنها و الانتصار لها ! كيف يفرّطُ و يقصّر فيها و ربما يسيء إليها من يريد لقاء الله راضياً عنه و يرجو الفوز في يوم النشور!

قال ابن كثير (رحمه الله) : هذه الآية الكريمة أصلٌ كبيرٌ في التأسّي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله . (٣)

نسأل الله بمنه و كرمه أن يرزقنا حسن الاقتداء بنبينا ﷺ و اتباع هديه و سنته ، وأن يحشرنا في زمرته ويسقينا من حوضه الشريف شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبدا .

اللهم ارزقنا جواره في الفردوس الأعلى من الجنة .

يا رب العالمين يا أرحم الراحمين ...اللهم آمين .

---

(١) الأمثال القرآنية القياسية (١ / ١٥٥).

(٢) تفسير القرطبي (١٤ / ١٥٥). تفسير ابن كثير – دار طيبة (٦ / ٣٩١)

(٣) المصدر السابق .

ثبت المصادر و المراجع

القرآن الكريم .

– أحكام القرآن للجصاص ، لأحمد بن علي المكني بأبي بكر الرازي الجصاص الحنفي ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي ، دار احياء التراث العربى . بيروت : ١٤٠٥ هـ.

– أدب الدنيا والدين ، المؤلف : على بن محمد بن حبيب الماوردي الشافعي.

– أخلاق النبي في القرآن و السنة ، المؤلف : الدكتور أحمد الحداد بيروت ،دار الغرب الإسلامي ط : الثانية .

– أعلام النبوة ، المؤلف : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ،الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت

الطبعة الأولى ، ١٩٨٧تحقيق : محمد المعتصم بالله البغدادي.

– إكمال المعلم شرح صحيح مسلم ،المؤلف : العلامة القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي ٥٤٤ هـ .

– إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ،المؤلف : تقى الدين أحمد بن على المقريزي (م ٨٤٥) ،

دار النشر : دار الكتب العلمية ، ط الأولى ، ١٤٢٠/١٩٩٩. ، بيروت ،تحقيق : محمد عبد الحميد النميسي.

– التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس

سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

– تاج العروس من جواهر القاموس ، المؤلف : محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزَّبيدي ، تحقيق : مجموعة من المحققين الناشر : دار الهداية.

– تفسير القرآن العظيم المؤلف : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [٧٠٠ –٧٧٤ هـ] المحقق : سامي بن محمد سلامة الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م.

– تفسير البغوي ، معالم التنزيل في تفسير القرآن ، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ)، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي –بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ .

– التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، المؤلف : أبو عمر يوسف ابن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي (المتوفى : ٤٦٣هـ)،المحقق : مصطفى بن أحمد العلوى و محمد عبد الكبير البكرى، الناشر : مؤسسة قرطبة .

– تفسير القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١هـ)، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية – القاهرة
الطبعة : الثانية ، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م .

– تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير.المؤلف : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ، الناشر : شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت ، سنة النشر : ١٩٩٧م.

–تنوير الحوالك شرح موطأ مالك ،المؤلف : عبدالرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، الناشر : المكتبة التجارية الكبرى – مصر ، ١٣٨٩ .

– تهذيب اللغة ،المؤلف : أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق : محمد عوض مرعب

دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت – ٢٠٠١م الطبعة : الأولى.

–التيسير بشرح الجامع الصغير، المؤلف : الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي،دار النشر : مكتبة الإمام الشافعي – الرياض – ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م،الطبعة: الثالثة.

– الثقات ، المؤلف : محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد، الناشر : دار الفكر ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.

– جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ، المؤلف : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠) المحقق : مكتب التحقيق بدار هجر. الطبعة : الأولى .

– جامع الترمذي، لمحمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين دار إحياء التراث العربي ،بيروت– ط:الأولى.

– جامع العلوم والحكم ، المؤلف : أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي ، الناشر : دار المعرفة – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ.

– جمع الوسائل في شرح الشمائل، المؤلف : علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى : ١٠١٤هـ)الناشر : المطبعة الشرفية – مصر ، طبع على نفقة مصطفى البابي الحلبي وإخوته.

– حاشية السندي على صحيح البخاري، المؤلف : محمد بن عبد الهادي السندي المدني ، الحنفي ، الناشر : دار الفكر.

– الخصائص الكبرى، المؤلف : أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي ،دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

– الديباج على مسلم ، المؤلف : جلال الدين السيوطي ، الطبعة الأولى .

– الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة ، المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية ، بيروت : دار الكتب العلمية – ، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.

– الروض الأنف في شرح غريب السير، المؤلف : عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي المتوفى سنة ٥٨١.

– زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف : محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى : ٧٥١هـ) بيروت : مؤسسة الرسالة، الكويت: مكتبة المنار الإسلامية ،الطبعة : السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

– سبل السلام، المؤلف : محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني (المتوفى : ١١٨٢هـ)

الناشر : مكتبة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة : الرابعة ١٣٧٩هـ.

– سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد .

المؤلف : محمد بن يوسف الصالحي الشامي.

– سنن أبي داود السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.دار الفكر ، سوريا –ط: الأولى.

– سنن النسائي الصغرى ، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة.مكتب المطبوعات الإسلامية . حلب ١٤٠٦ – ١٩٨٦ . ط: الثانية.

– سنن ابن ماجه، لابن ماجه القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.دار الفكر ، بيروت–ط: الأولى.

– سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: خالد السبع العلمي ، فواز أحمد زمرلي ، دار الكتاب العربي، بيروت١٤٠٧ط :الأولى.

– سنن الدارقطني، دار الفكر –بيروت ، ١٤١٨هـ١٩٩٨م،ط: الأولى.

– السنن الكبرى للبيهقي ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، مكتبة دار الباز – مكةالمكرمة١٤١٤ – ١٩٩٤ . ط: الأولى .

– السيرة النبوية، المؤلف : الإمام أبـوالفداء إسماعيل بن كثير ٧٠١ – ٧٤٧ هـ تحقيق : مصطفى عبد الواحد ١٣٩٦ هـ – ١٩٧١ م الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت – لبنان.

–شرح السنة . للإمام البغوي، المؤلف : الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق : شعيب الأرناؤوط – محمد زهير الشاويش، دار النشر : المكتب الإسلامي – دمشق . بيروت الطبعة : الثانية . ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

– شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ،المؤلف : محمد بن عبد الباقي ابن يوسف الزرقاني ،الناشر : دار الكتب العلمية، بيروت ،سنة النشر : ١٤١١هـ.

– شرح سنن أبي داود، المؤلف : أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى ابن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى : ٨٥٥هـ)المحقق : أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري.الناشر : مكتبة الرشد الرياض ،الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ –١٩٩٩ م.

–شرح سنن ابن ماجه ،المؤلف : مغلطاي بن قليج بن عبد الله الحنفي، أبو عبد الله، علاء الدين (المتوفى : ٧٦٢هـ) المحقق :كامل عويضة، الناشر : مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، ١٤١٩ هـ -

–شرح السيوطي لسنن النسائي، المؤلف : عبدالرحمن ابن أبي بكر أبو الفضل السيوطي تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة، الناشر : مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ – ١٩٨٦.

– شرح صحيح البخاري . لابن بطال، المؤلف : أبو الحسن علي بن خلف ابن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم،دار النشر : مكتبة الرشد – السعودية / الرياض – الطبعة : الثانية ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

– الشفا بتعريف حقوق المصطفى – مذيلًا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، المؤلف : العلامة القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي ٥٤٤ هـ .الحاشية : العلامة أحمد بن محمد بن محمد الشمنى ٨٧٣.

– الشمائل الشريفة، المؤلف : الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ،تحقيق : حسن بن عبيد باحبيشي . دار النشر : دار طائر العلم

–الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية، المؤلف : محمد بن عيسى ابن سورة الترمذي أبو عيسى ، تحقيق : سيد عباس الجليمي ، الناشر : مؤسسة الكتب الثقافية ، سنة النشر : ١٤١٢ بيروت.

– صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ، اليمامة بيروت١٤٠٧ – ١٩٨٧الثالثة.

– صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ،بيروت ط: الأولى.

– صحيح ابن خزيمة، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي ، المكتب الإسلامي –بيروت ١٣٩٠ – ١٩٧٠م ط: الأولى .

– صحيح ابن حبان ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة– بيروت١٤١٤ – ١٩٩٣ط: الثانية.

– صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني ،دار النشر : المكتب الإسلامي، بيروت الطبعة : الثالثة، سنة الطبع : ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م.

– الصحيح المسند من أسباب النزول ، تأليف: أبي عبد الرحمن مقبل بن هادى الوادعي ، الناشر: مكتبة ابن تيمية ، الطبعة : الرابعة مزيدة ومنقحة القاهرة ١٤٠٨هـ– ١٩٨٧م.

– ضعيف الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني، دار النشر : المكتب الإسلامي بيروت،الطبعة : الثالثة، سنة الطبع : ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م.

– عون المعبود شرح سنن أبي داود،المؤلف : أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، المحقق : عبد الرحمن محمد عثمان ،دار النشر : المكتبة السلفية ، المدينة المنورة، الطبعة : الثانية.

– غريب الحديث، المؤلف : حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي أبو سليمان، تحقيق : عبد الكريم إبراهيم العزباوي، الناشر : جامعة أم القرى – مكة المكرمة ، ١٤٠٢هـ.

– فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي .

الناشر : دار المعرفة – بيروت ، ١٣٧٩هـ.

–فتح الباري . لابن رجب، المؤلف : زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب، تحقيق : أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار النشر : دار ابن الجوزي – السعودية / الدمام – الطبعة : الثانية ، ١٤٢٢هـ.

– فيض القدير شرح الجامع الصغير، المؤلف : زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن علي المناوي (المتوفى : ١٠٣١هـ)،الناشر : دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الاولى ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م.

– كتاب العين، المؤلف : أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي تحقيق : د.مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي ، الناشر : دار ومكتبة الهلال.

– لسان العرب ، المؤلف : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، الناشر : دار صادر – بيروت الطبعة الأولى

– مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المؤلف : نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، الناشر : دار الفكر، بيروت – ١٤١٢ هـ.

– مختار الصحاح، المؤلف : محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق : محمود خاطر، الناشر : مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ، ١٤١٥ – ١٩٩٥م.

– مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، المؤلف : محمد ابن أبي بكر بن قيم الجوزية .

تحقيق : محمد حامد الفقي ،الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٣هـ –١٩٧٣م.

– المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط: الأولى .

– مسند أحمد بن حنبل، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط: الأولى .

– مسند أبي داود الطيالسي، دار هجر للنشر والتوزيع ،مصر، ط: الأولى.

– مسند ابن أبي شيبة ، تحقيق : عادل يوسف العزازي وأحمد فريد المزيدي دار الوطن، الرياض ط: الأولى .

- مسند أبي يعلى الموصلي، تحقيق : حسين سليم أسد ، الثقافة العربية، دمشق-بيروت ١٤١٢هـ-١٩٩٢م ط:الثانية.

- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المؤلف : القاضي أبو الفضل عياض ابن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي، دار النشر : المكتبة العتيقة ودار التراث.

- مشكل الحديث وبيانه ، المؤلف : أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني . سنة الوفاة ٤٠٦هـ .

تحقيق : موسى محمد علي ، الناشر : عالم الكتب - بيروت سنة النشر : ١٩٨٥م.

- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه المؤلف : أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكناني، تحقيق : محمد المنتقى الكشناوي ،الناشر : دار العربية بيروت سنة النشر : ١٤٠٣ هـ.

- معالم السنن ، وهو شرح سنن أبي داود، المؤلف : أبو سليمان أحمد ابن محمد الخطابي البستي (٢٨٨ هـ) الناشر : المطبعة العلمية - حلب ،الطبعة الأولى ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م.

- معجم مقاييس اللغة، المؤلف : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، الطبعة : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- معجم البلدان ، المؤلف : ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله ، الناشر : دار الفكر - بيروت.

- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، المؤلف : الإمام ، أبو العبَّاس أحمَدُ بنُ أبي حَفْصٍ عُمَرَ بنِ إبراهيمَ الحافظ ، الأنصاريُّ القرطبيُّ .

– المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ،المؤلف : أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي،الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الثانية .

– موطأ مالك رواية يحيى الليثي، مالك بن أنس، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الشعب،مصر، ط: الأولى .

– المخصص ، المؤلف : أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده .

تحقيق : خليل إبراهم جفال ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة : الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

– المعجم الوسيط ،المؤلف : إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار .

تحقيق : مجمع اللغة العربية ، دار النشر : دار الدعوة .

– المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، المؤلف : عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج .

الناشر : دار صادر – بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٣٥٨هـ .

– النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف : أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي ، الناشر : المكتبة العلمية – بيروت ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

– هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، المؤلف : محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ،الناشر : الجامعة الإسلامية المدينة المنورة.

– الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى : ٤٣٧هـ) .

المحقق : مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة ، بإشراف أ.د : الشاهد البوشيخي ، نشر: كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

البرامج الإلكترونية المعتمدة :

– جوامع الكلم – ٤,٥ ، بتمويل من قاسم درويش فخرو .

– المكتبة الشاملة على الأنترنت .

فهرس الموضـــوعات

المقدّمة ٣١٥

المبحث الأول :وقفاتٌ مع الشمائل الخَلْقِية ٣٢١

١. ما جاء في صورة خِلْقَتِه ﷺ..... ٣٢١

٢. صفةُ شعره وشيبه وترجُّله ﷺ..... ٣٢٤

٣. هيئةُ جلسته واتّكاءهِ ومشيتهِ ﷺ ٣٢٩

٤. كلامه ﷺ ٣٣٤

٥. ضحكه ومزاحه ﷺ ٣٣٧

المبحث الثاني : وقفاتٌ مع أدواته و مقتنياته و عاداته ٣٤١

١. صفة طعامه ﷺ ٣٤١

٢. صفة أكله ﷺ ٣٤٥

٣. لباسه و فراشه ﷺ ٣٥٠

٤. سلاحه و خاتمه ﷺ..... ٣٥٤

٥. نومُهُ و تعطّره ﷺ..... ٣٥٧

المبحث الثالث : وقفاتٌ مع شمائله الخُلُقية ٣٦٢

١. رفقه و رحمته بأمته ﷺ..... ٣٦٢

٢. حلمه و عفوه ﷺ..... ٣٦٦

٣. تواضعه و خفض جناحه ﷺ..... ٣٧٠

٤. كرمه و سخاؤه ﷺ..... ٣٧٤

٥. حيـــاؤه و عفّته ﷺ..... ٣٧٧

٦. أمانته و وفاؤه ﷺ..... ٣٨٢

٧. صدقه ومروءته ﷺ..... ٣٨٧

٨. عدله و إنصافه ﷺ..... ٣٩١

٩. شجاعته و جهاده ﷺ..... ٣٩٦

١٠. صبره و تضحيته ﷺ..... ٤٠٢

الخاتمة ٤٠٧

المصادر والمراجع ٤٠٩